التذوق الأدبي والنقدي عند الخليفة الأموي "عبدالملك بن مروان"

د. سليمان محمد سليمان(*)

المقدمة:

الحمـــد لله رب العالمـــين، والـــصلاة والـــسلام علـــى أشرف المرســـلين ســـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، خير من نطـــق بالـــضاد، والقائـــل عن نفسه صلى الله عليه وسلم "أنا أفصح العرب ولا فخر"

فهـــذه صفحات عنونت لها بـــ " التذوق الأدبى والنقدى عند الخليفة الأموى "عبد الملك بن مروان" وهى تعرض لجانبين ارتبطا بشخص الخليفة الأمـــوى "عـــبد الملـــك بن مروان" ، فأولهما كان " التذوق"، والمعروف أن الـــذوق يُعد ملكة من تلك التى تأصلت فى الإنسان منذ القدم، فالذوق ملكة لا غنى لأى ناقد عنها، لأنها تمكنه من التعرف على مواطن الجمال والقبح فيما يعرض له من النصوص عند سماعها أو قراءتها.

ولا شك أن للذوق دوره الأساسى فى النقد، حيث أورد النقاد العرب الكثيـــر من النصوص التى يُفهم منها النقد نصوصاً توصى، لا تحدد، تنم ولا تفصل جوانب الذوق وكنهه وقدرته"(١)

فالعربى كان بطبعه متذوقاً لفنون القول من شعر أو نثر، وليس ذلك بغـــريب عليه وقد فطر على ذلك وهى سليقته التى وهبها الله له. ثم يفصح عن رأيه. فملكة النقد حينئذ هى الذوق الفنى المحض. وقد كان " عبد الملك بـــن مروان محباً للشعر والفخر والتقريظ والمديح .. وكان عماله على مثل مذهبه"(٢)

(*) أستاذ الأدب والنقد المساعد ـ كلية الآداب ـ جامعة سوهاج.

(١) راجع فى ذلك بالتفصيل : تاريخ النقد العربى. للدكتور محمد زغلول سلام. ص ٩: ١٢ . دار المعارف بمصر.

(٢) مروج الذهب للمسعودى بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. جـ٢/٧١- ١٣٨٧ هـ-١٩٦٧م.

وكـــان أكثـــر خلفـــاء بنى أمية شأنهم شأن عبد الملك. ومن ثم عُرف الكثير منهم بتذوقهم الأدبى وحسهم النقدى. حيث كانت دولتهم عربية خالصة. ولذا كانـــت مجالـــسهم الأدبـــية دلـــيلاً قوياً على احتفاظ هؤلاء القوم بخصائص عـــروبتهم: "وأهم تلك الخصائص حبهم الشديد للشعر، وولعهم بسحر البيان وتحـــسس جوانب الجمال فيه، وتعرفهم إلى أسباب ضعفه ورداءته بفطرتهم الـــسليمة وحسهم المرهف. وأنبههم فى ذلك وأجدرهم بالتنويه- عبد الملك ابـــن مـــروان- الذى كان ولوعاً بتتبع الكلام، وقادراً على أن يضع يده على مواطن الضعف والخطأ فى الأشعار"[1].

وحقـــاً قـــد يكون ما يدور فى مجالس هؤلاء الخلفاء- وخاصة عبد الملـــك ابـــن مـــروان – مطبوعاً بطابع العجلة والارتجال، حيث تصدر فيها عبارات مؤجزة وأحكام سريعة – فالوقت قد لا يتسع لبسط الرأى وتوضيحه. وشـــرح الأسباب التى بنى عليها تذوقه ورؤيته الفنية لما يدور فى مجالسه الأدبية.

ولكـــن من الحق أن نقول إن هذا التذوق وتلك الرؤية الصائبة كانت هـــى الأســـاس للكثير من الآراء النقدية التى ظهرت معالمها واتضحت بعد ذلك.

فلقـــد خلفت لنا تلك المجالس تراثاً ضخماً من الأدب – شعره ونثره – وثـــروة كبيـــرة فـــى مجـــال الأدب ونقده. حيث كانت للخليفة عبد الملك مجالـــسه الأدبـــية الكثيـــرة التى يتناول فيها مع جلسائه تذوق الشعر وفهم معانـــيه وتوجـــيه الشعراء وإرشادهم لما يجب أن يتحلوا به من ذوق أدبى رفيع، يليق بمن يجالسهم من الخلفاء، أو من يوجهوا إليه تلك الأشعار.

---

[1] دراســـات فى نقد الأدب العربى. للدكتور بدوى طبانة. ص ١٠٥: ١٠٦. دار الثقافة – بيروت – لبنان.

"وللكثير من خلفاء بنى أمية وخاصة عبد الملك بن مروان أحكام نقدية على الشعر، والشعراء ومنازلهم الأدبية، وهى كثيرة"[1].

والحـــق أنـــى لا اتفق تماماً مع تلك المقولة التى جاءت على لسان الناقد الكبير قدامة بن جعفر. ولكنى استطيع أن أقول : إن تذوق الخليفة عبد الملـــك وفهمه الجيد للشعر ومعرفته لمنازل الشعراء وأقدارهم كانت لبنة من اللبـــنات التـــى قامت عليها الكثير من الأحكام النقدية، فلا يخفى علينا ما فى هذه الأحكام من الوجاهة والصدق الفنى على الرغم من أن مبعثها الأساسى هـــو التذوق الطبيعى. وإحساس بما حوى النص الشعرى من عناصر الجمال والـــروعة الأدبـــية. فهى لم تتناول فى معظمها إلا ناحية المعانى. وهذا هو الـــذى كان سائداً فى تلك الفترة. ومرجع ذلك أن اللغة لم تكن قد وضعت لها معـــالم ثابتة حيث كانت تراثا مشتركاً ومعروفاً للجميع الخاصة والعامة. أى لم يكن هناك مقاييس جمالية أو نقدية معينة يستند إليها الناقد، وبذلك يكون نقـــده موضـــوعياً . فالأحكـــام النقدية تصدر عفوية دون تعليل لها أو بيان لأسبابها.

ومـــن ثم كان للخليفة عبد الملك بن مروان وغيره ممن كانوا على شـــاكلته فضل السبق فى التأسيس لهذه الأحكام والتوجيه للنقد الموضوعى الـــذى ظهـــر فـــى العصور التالية فذلك أحد دوافعى للتوجه لدراسة مثل هذا الموضـــوع، وقد تناولته من خلال مدخل ومحورين أساسيين تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة. وجاءت كالتالى:-

أولاً - المدخل : نظرات أدبية لخلفاء بنى أمية.

ثانياً - المحور الأول " مكانة الخليفة عبد الملك بن مروان الأدبية".

واشتمل هذا المحور على النقاط التالية :

١- قبل توليه الخلافة.

---

[1] نقـــد الـــشعر لقدامة بن جعفر. جـــ٢٥. تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٢- بعد توليه الخلافة.
٣- بعض آثاره الأدبية.
٤- موقفه من الشعر والشعراء.

ثالثاً - المحور الثانى : " مجالس الخليفة الأدبية والنقدية "

واشتمل هذا المحور على النقاط التالية :
١- مجالس الخليفة والأخطل شاعر بنى أمية.
٢- مجالس الخليفة والشاعر جرير بن عطية.
٣- مجالس الخليفة والشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات.
٤- مجالس الخليفة والشاعر الفرزدق.
٥- مجالس الخليفة والشاعر كثيرّ عزة.
٦- مجالس الخليفة مع غير هؤلاء الشعراء.

رابعاً - الخاتمـــــــة.

ثبت المصادر والمراجع.

أولاً – مدخـل : " نظرات أدبية لخلفاء بنى أمية ":

لقـد قامت دولة بنى أمية على العنصر العربى، وكان عليه النهوض بالدولـــة وحمايتها من أعدائها. وقد صدق الجاحظ فى وصفه للدولة الأموية بأنها عربية أعرابية.

فقد عرف خلفاء بنى أمية للأدب أهميته وأثره الفعال فى الدفاع عن دولـتهم وتوطـيد ملكهـم. فهذا هو الشاعر مسكين الدارمى يأمره يزيد بن معاويـــة أن يقـــول أبـــياتاً ترشحه للخلافة بعد أبيه فى المجلس الذى يضم الخليفة معاوية بن أبى سفيان وكبار رجال بنى أمية. فيقول :

ألا لـــيت شعرى ما يقول ابن عامر ... ومـــروان أم مـــاذا يقـــول سعيد؟
بنـــى خلفـــاء الله مهـــلاً فإنمـــا ... يـــبوئها الـــرحمن حـــيث يـــريد
إذا المنبـــر الغربـــى خـــلاه ربـــه ... فـــإن أميـــر المؤمنـــين يزيد. [1]

أمـــا الشاعر جرير بن عطية. فإنه يقرر أن عبد الملك بن مروان قد أقـــام العـــدل بـــين الناس كما أقام أمر الدين، وإن الله هدى شيعته وجمعهم حـــوله وقـــت تفـــرق الأهـــواء والشيع، كما يقرر أن فضل آل مروان فضلاً عظيماً. فيقول :

لـــولا الخلـــيفة والقـــرآن يقـــرؤه ... مـــا قـــام للـــناس أحكام ولا جمع
أنـــت المـــبارك يهـــدى الله شيعته ... إذا تفـــرقت الأهـــواء والـــشيع
فكـــل أمـــر علـــى يمـــن أمرت به ... فينا مطاع ومهما قلت مستمع. [2]

وهذا هو الشاعر الأحوص يبيّن أهليه الوليد للملك وأحقيته باختيار الله له فيقول:

إمـــام آتـــاه الملـــك عفواً ولم يثب ... علـــى ملكـــه مـــالاً حراماً ولا دما
تخيـــــره رب العـــــباد لخلقـــــه ... ولـــياً وكـــان الله بالـــناس أعلمـــا
فلمـــا قـــضاه لله لـــم يدع مسلماً ... لبيعـــته إلا أجـــاب وســـلما. [3]

---

[1] الأغانى لأبى فرج الأصبهانى جـ٢٠/٢١٢. طبعة دار الشعب ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
[2] ديوان جرير. تحقيق محمد إسماعيل الصاوى، ص٣٥٥ : ٣٥٦- الطبعة التجارية.
[3] الأغانى لأبى فرج الأصبهانى جـ١/٢٩٨.

وبذلك مهد الشعراء لخلفاء بنى أمية طريقهم للحكم. كما تمهد الصحف الآن. والتف حولهم كثير من الشعراء إما خوفاً ورهبة منهم، وإما خوفاً وطمعاً فى عطائهم.

" وإذا مضينا فى العصر الأموى، وجدنا الأحزاب السياسية تنشأ ووجدنا لكل حزب شعراءه الذين ينحازون إليه ويدعون له ويدافعون عنه .... وهؤلاء الشعراء جميعاً وأمثالهم من المنتمين للأحزاب السياسية كانوا لايعيشون لأنفسهم وإنما لجماهير أحزابهم ... وكان جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم من شعراء بنى أمية أشبه ما يكونون بالصحف فى عصرنا أو بوسائل الإعلام، فهم الذين يسجلون أعمال الدولة ومناقب الخلفاء... وهم بذلك كانوا شعراء سياسة مثلهم مثل شعراء الأحزاب الأخرى، وكانت مدائحهم تذيع فى العراق موطن الخصومة لبنى أمية، ولذلك عنوا بتقريبهم ، وكان جرير أكثرهم قرباً من الشعب فى لغته ".[١]

وقد صور ذلك ابن سلام حين سئل: أى البيتين أجود؟ قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح؟!

أم قول الأخطل :

شمس العداوة حين يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

فقلت: بيت جرير أحلى وأيسر، وبيت الأخطل أجزل وأرزن، فقال صدقت ! وهكذا كانا فى أنفسهما عند الخاصة والعامة".[٢]

ولقد عُرف الكثير من خلفاء بنى أمية بنظراتهم الأدبية وتأملاتهم النقدية. يدلنا على ذلك :

(١) ما جاء على لسان مؤسس دولتهم الخليفة معاوية بن أبى سفيان حيث يقول: "يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب – وقال : اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم."[٣]

---

[١] الشعر وطوابعه الشعبية للدكتور شوقى ضيف صـ٣٤ : ٣٨. الطبعة الثانية – دار المعارف.

[٢] طبقات فحول الشعراء لابن سلام جـ١/٤٩٤. قرأه وشرحه محمود محمد شاكر. الهيئة العامة لقصور الثقافة.

[٣] العمدة لابن رشيق جـ١/٢٩. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة – ١٩٧٢م.

وقـــد جاء فى مجالس ثعلب: "كتب معاوية بن أبى سفيان إلى زياد: إذا جـــاءك كتابـــى هذا فأوفد إلىَّ ابنك عبيد الله. فأوفده عليه فما سأله عن شىء إلا أنفده حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئاً، قال: فما منعك من روايـــته؟ قـــال: كرهت أن أجمع كلام الله ، وكلام الشيطان فى صدرى. قال: أغـــرب. والله لقد وضعت رجلى فى الركاب يوم صفين مراراً ما يمنعنى من الانهزام إلا أبيات ابن الإطنانة حيث يقول :

أبـــت لـــى همتـــى وأبـــى بلائـــى ... وأخـــذى الحمـــد بالـــثمن الـــرَّبيح
وإقحامـــى علـــى المكـــروه نفسى ... وضـــربى هامـــة الـــبطل المـــشيح
وقولـــى كلمـــا جأشـــت وجاشـــت ... مكانـــك تحمـــدى أو تـــستريحى
لأدفـــع عـــن مآثـــر صـــالحاتٍ ... وأحمـــىً يعـــدُ عن عرض صحيح

فقـــد كانـــت نظرات معاوية بن أبى سفيان وتأمله لتلك الأبيات التى قالها عمرو بن الإطنانة بما تحمل من معانى عظيمة سبباً فى عدم فراره من المعركة وثباته فى القتال.

وقـــد ذُكـــر : " إن الحارث بن نوفل دخل بابنه عبد الله إلى معاوية، فقـــال: ما علمت ابنك؟ قال: القرآن. والفرائض. فقال: زده من فصيح الشعر فإنـــه يفـــتح العقـــل؟ ويفصح المنطق، ويطلق اللسان، ويدل على المروءة والشجاعة"[1].

وهـــذا يدلـــنا دلالـــة واضحة على دقة نظرات الخليفة الأدبية. حتى اســـتطاع أن يتبـــين مـــا للشعر من أثر فعال فى تربية الأبناء على المروءة والشجاعة. وقد كانت تلك هى الصفات المحببة للعرب فى ذلك الوقت.

ولـــم يقتـــصر الأمر على ذلك فقط وإنما استطاع الخليفة من خلال تلك النظـــرات الثاقـــبة الواعـــية أن يتبين ما للشعر من دور فى تفتح العقل وطلاقة اللـــسان وتعلـــم المنطق وحسن البيان، ولذا يجب تعلمه جنباً إلى جنب كالقرآن والفرائض.

---

[1] المـــصون فـــى الأدب. تحقـــيق عبد السلام محمد هارون ، ص ١٣٣، مكتبة الخانجى بالقاهرة – الطبعة الثانية – ١٤٠٢هـــ – ١٩٨٢م.

(٢) والأمـر فى الحقيقة لا يقتصر على معاوية دون غيره من خلفاء بنى أمية ، فهذا هو : الخليفة يزيد بن عبد الملك:-

" وقـد قـدم عليه كثير عزة، وكان قد مدحه بقصائد جياد مشهورة فأعجـب بهـن يـزيد. وقال له : احتكم قال: وقد جعلت ذلك إلىَّ! قال: نعم: فقـال:مائة ألف، قال: ويحك! مائة ألف!! قال: على جود أمير المؤمنين أبقى أم على بيت المال؟ قال: ما بىّ استكثارها، ولكنى أكره أن يقول الناس أعطى شاعراً مائة ألف".[١]

وهـذا يدلنا على مدى استحسان الخليفة لتلك القصائد وإعجابه الشديد بهـا، ولا يكـون ذلـك إلا بعـد نظره وتأمله لما تحمله هذه القصائد من معانى عظـيمة ، تُعلى من شأن الممدوح وترفع من قدره، والإنسان بطبعه يحب الثناء والمـديح. ولذلك فهو يطلب من شاعره أن يكون حكماً لجائزة تلك القصائد التى نالـت إعجـاب الخليفة، فيحكم الشاعر بمائة ألف، فيعطيها له الخليفة دون أن يستكثرها.

وقد كانت بنو أمية لا تقبل الراوية إلا أن يكون راوية للمراثى. قيل ولم ذاك؟ قيل : لأنها تدل على مكارم الأخلاق.

وقيل لإعرابى ما بال المراثى أجود أشعاركم؟ قال: لأنا نقول وأكبادنا تحترق "[٢].

وهـذا يدلـنا على تذوق بنى أمية للشعر وخاصة الرثاء منه، فهو من أجـود الـشعر لأن الشعراء يقولونه وأكبادهم تحترق من شدة الألم على الذين يـرثونهم. فالرثاء خاصة لا نصيب للكذب والرياء فيه بخلاف الأغراض الأخرى من الشعر.

(٣) ويروى صاحب الأغانى :

" أن نـصيباً كان إذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه

---

[١] طبقات فحول الشعراء لابن سلام . جـ٢/٥٤٢.

[٢] البـيان والتبيين للجاحظ جـ٢/٣٢٠. بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . دار الجيل – بيروت.

واستنـــشده مراثـــى بنـــى أمية فإذا أنشده بكى وبكى من معه، فأنشده يوماً قصيدة له مدحه بها يقول فيها :

إذا استبق الناس العلا سبقتهم يمينك ثم صلّت شمالها

فقـــال لـــه هـــشام: يـــا أسود بلغت غاية المديح فسلنى، فقال: يدك بالعطية، أجود وأبسط من لسانى بمسألتك، فقال: هذا والله أحسن من الشعر، وحباه وكساه وأحسن جائزته"[1].

فالخلـــيفة هشام بن عبد الملك تأمل ما قاله الشاعر نصيب وأعجب به سواء كان شعراً أم نثراً، ولذلك أحسن جائزته وحباه وكساه.

وذكر القالى فى أماليه :

" قـــدم وفد على أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وفيهم رجل من قـــريش يقـــال لـــه إسماعيل بن أبى الجهم وكان أكبرهم سناً وأفضلهم رأياً وحلماً، فقام متوكئاً على عصا. وقال: يا أمير المؤمنين إن خطباء قريش قد قالـــت فـــيك فأطنـــبت، وأثنت عليك فأحسنت، والله ما بلغ قائلهم قدرك، ولا أحصى مثنيهم فضلك، أفتأذن لىّ فى لكلام؟ قال:تكلم، قال : أفأوجز أم أطنب؟ قال: بل أوجز، قال: تولاك الله أمير المؤمنين بالحسنى وزينك بالتقى، وجمع لك خير الآخرة والأولى، إن لىّ حوائج أفأذكرها؟ قال: نعم، قال: كبرت سنى، وضـــعفت قواى، واشتدت حاجتى، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى، وينفـــى فقـــرى، قال: يا ابن أبى الجهم، ما يجبر كسرك، وينفى فقرك. قال: ألـــف دينار، وألف دينار، وألف دينار، قال : هيهات يا أبن أبى الجهم!، بيت المـــال لا يحـــتمل هـــذا، قال: كأنك آليت يا أمير المؤمنين أن لا تقضى حاجة مقامـــى هـــذا، قـــال: ألف دينار لماذا؟ قال: أقضى بها ديناً قد فدحنى حمله، وأرهقنـــى أهلـــه، قال: نعم المسلك أسلكتها، ديناً قضيت، وأمانة أديت، قال: وألـــف ديـــنار لماذا؟ قال: أزوج بها من أدرك من ولدى فأشد بها عُضدى، ويكثـــر بهـــا عددى، قال: ولا بأس. أغضضت طرفاً وحصنت فرجاً وأمرت

---

[1] الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى. جـ١/٣٣٨: ٣٨٩.

نسلاً، وألف دينار لماذا؟ قال: اشترى بها أرضاً فأعود بفضلها على ولدى. وبفضل فضلها على ذوى قراباتى. قال: ولا بأس، أردت ذخراً، ورجوت أجراً، ووصلت رحماً. قد أمرنا لك بها. فقال: الله المحمود على ذلك وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم خيراً. فقال هشام: تا الله ما رأيت رجلاً ألطف فى سؤال، ولا أرفق فى مقال من هذا. هكذا فليكن القرشى".[1]

إننا أمام قطعة أدبية أجاد صاحبها فى بيان وتوضيح ما يريد مما جعل الخليفة هشام بن عبد الملك يُعجب بحسن بيانه، وجودة منطقه ولطافة مطلبه، ولا يكون ذلك إلا من متأمل واع وأديب راق يتذوق العبارة، ويفهم بالتلميح والإشارة، يُحب الإيجاز فى الكلام، فهو أعلى درجات البلاغة، ولذلك ما كان من الخليفة إلا الثناء عليه، وقضاء حاجته وتلبية رغبته متمنياً أن يكون كل القرشيين مثله.

وقد كان هشام بن عبد الملك عالماً بالأدب محباً لأهله. وقد سأل مرة خالد بن صفوان عن رأيه فى فحول عصره، جرير والفرزدق والأخطل، فقال خالد: أما أعظمهم فخراً وأبعدهم ذكراً، وأحسنهم عذراً وأسيرهم مثلاً وأقلهم غزلاً، البحر الطامى إذا ذخر، والسامى إذا خطر، الفصيح اللسان، الطويل العنان، فالفرزدق ... وأما أحسنهم نعتاً، أمدحهم بيتاً، ,أقلهم فوتا، الذى إذا هجا وضع، وإذا مدح رفع، فالأخطل... وأما أغزرهم بحراً، وأفهمهم شعراً، وأكثرهم ذكراً ، الأغر الأبلق الذى إن طلب سبق، وإن طُلب لم يلحق، فجرير. وكلهم ذكىٌّ الفؤاد، رفيع العماد، وارى الزناد ![2]

ولا ريب أنه كانت تلك النظرات الفاحصة والتأملات الواعية الدقيقة من هؤلاء الخلفاء من أثر تذوقهم الأدبى والنقدى.

فقد جعلوا جُل اهتمامهم ورعايتهم للحركة الأدبية، ففتحوا أبوابهم

---

[1] الأمالى للقالى. جـ١/١٤٥. الطبعة الثالثة – مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م.

[2] راجع دراسات فى نقد الأدب العربى. للدكتور بدوى طبانة. ص ١٠٨: ١٠٩ ، دار الثقافة ، بيروت، لبنان.

للـــشعراء والخطـــباء، وأغدقوا عليهم فى العطاء. وقد يكون السبب فى ذلك راجع لأمرين أساسيين :

الأول : إن حكـــم الأمويـــين بُنـــى علـــى الضغط والقهر فكانت حاجتهم إلى الـــشعراء والقـــصاص أشد لأنهم هم الذين يبشرون بهم ويشيدون بذكرهم ويقومون فى مقام الصحافة لأحزابها ومن أجل ذلك لم يكن ينال الحظوة عند خلفاء بنى أمية إلا من كان مادحاً لهم.

الثانـــى : أن نزعة الأمويين نزعة عربية جاهلية لا تتلذذ من الفلسفة ، ولا مـــن بحث دينى عميق، وإنما يلذ لها الشعر الجيد والخطبة البليغة والحكمة الرائعة."[1]

وقـــد حاولـــت أن ألتـــزم الاقتـــضاب فى أثناء معالجتى لما كان من نظـــرات أدبـــية وتأملات نقدية لخلفاء بنى أمية حرصاً منى على عدم تضخم البحث فضلاً عن الرغبة فى الارتباط والملازمة لموضوع الدراسة، حيث كان الخلـــيفة عـــبد الملـــك بـــن مروان على رأس هؤلاء الخلفاء جميعاً فى ذلك المجال. وفيما ذكرت إشارة واضحة على شيوع الذوق الأبى الرفيع والحس النقدى المرهف عند هؤلاء القوم عامة.

[1] فجر لإسلام لأحمد أمين ص٢٦١: ٢٦٠. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ثانياً – المحور الأول :

مكانة الخليفة عبد الملك الأدبية :

لقد كانت للخليفة عبد الملك بن مروان[١] مكانة مرموقة ومنزلة أدبية عالية، وذلك لما تميزت به شخصيته منذ نشأته ونعومة أظافره، وحتى أصبح خليفة المسلمين وعلماً بارزاً من أعلام الدولة الأموية، فهو يُعد بحق المؤسس الثانى للدولة الأموية بعد مؤسسها الأول معاوية بن أبى سفيان.

فقد تولى عبد الملك الحكم فى ظروف صعبة وأوضاع حرجة ، حيث كانت الدولة تتمزقها الخلافات والمشاحنات السياسية والمذهبية من كل جانب، حتى أشرفت الدولة على الانهيار، فحاول عبد الملك أن يخرجها من وهدتها، وينشلها من عثرتها بعد أن قضى على العديد من الفتن والثورات.

وقد عُرف خلفاء بنى أمية بمجالسهم الأدبية التى كانت تُعد مظهراً من مظاهر احتفاظهم بخصائص عروبتهم " وأهم تلك الخصائص حبهم للشعر وولعهم بسحر البيان ودرايتهم بتذوقه وقدرتهم على نقده وتحسس جوانب الجمال فيه، وتعرفهم أسباب ضعفه بفطرتهم السليمة وحسهم المرهف وأنبههم فى ذلك وأجدرهم بالتنويه. عبد الملك بن مروان الذى كان ولوعاً بتتبع الكلام، قادراً على أن يضع يده على مواطن الضعف أو الخطأ فى الأشعار"[٢].

ومن ثم يتضح لنا أن عبد الملك بن مروان هو أجدر خلفاء بنى أمية وأقدرهم على تذوق الشعر ونقده، وتحسس جوانب الجمال فيه، ومعرفة أسباب ضعفه وذلك لفطرته السليمة وحسه المرهف، ومن ثم "

---

[١] هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية. "أبو الوليد" الأموى – أمير المؤمنين. أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية. ولد سنة ست وعشرين وبويع بعهد من أبيه فى خلافة ابن الزبير، فلم تصح خلافته إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين فصحت خلافته من يومئذ. مات سنة ست وثمانين فى شوال. وبذلك يكون قد ملك إحدى وعشرين سنة "٦٥-٨٦ هـ". راجع فى ذلك: " مروج الذهب للمسعودى جـ٢/٧١، البداية والنهاية لابن كثير جـ٥/٨٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطى صـ ٢٥٦. وتاريخ الإسلام للذهبى جـ٣/٥٠".

[٢] دراسات فى نقد الأدب العربى. للدكتور بدوى طبانة ، ص ١٠٥: ١٠٦.

تميـــزت شخـــصية عبد الملك بن مروان قبل توليه منصب الخلافة وبعدها، بالتقوى والورع، والاهتمام الكبير بالقرآن والسنة، كما عُرف عنه سعة العلم والمعرفة باللغة والأدب، والشعر والفصاحة والمنطق".[١]

ولـــذلك كان لزاماً علينا أن نفصل القول فى بيان مكانته الأدبية قبل تولـــيه منـــصب الخلافـــة وبعدها حتى يتضح لنا مدى تذوقه الأدبى وحسه المرهف، شافعين ذلك ببعض آثاره الأدبية التى نستدل من خلالها على تذوقه الأدبـــى، مـــشيرين إلى موقفه من الشعر والشعراء، وبذلك تتضح لنا مكانته الأدبية التى لايدانيه فيها غيره من خلفاء بنى أمية.

١ - قبل توليه الخلافة :

" أربـــى غـــلام من بنى على[٢]، على عبد الملك، وعبد الملك يومئذ غـــلام، فقال له كهل من كهولهم لما رآه ممسكاً عن جواب المربىّ عليه: لو شـــكوته إلـــى عمـــه انتقم لك منه. فقال : أمسك يا كهل؛ فإنى لا أعُدّ انتقام غيرى انتقاماً." [٣]

وذلـــك يدل على ما اتصف به عبد الملك من رجاحة عقل، منذ كان غلامـــاً. ويـــؤيد ذلـــك أيضاً ما ذكر من أن : " ثلاثة حمقى كانوا أخوة ثلاثة عقلاء، والأم واحدة: علىّ وعقيل، وأمهما فاطمة بنت أسد بن هاشم، وعتبة ومعاويـــة ابـــنا أبـــى ســـفيان وأمهما هند بنت عتبة بن ربيعة، وعبد الملك ومعاويـــة ابـــنا مـــروان وأمهمـــا عائـــشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص"[٤].

وقـــد وصفه معاوية بن أبى سفيان بكمال المروءة وعلل عمرو بن

---

(١) الخلافة الأموية للدكتور عبد الأمير عيد حسين دكن. ص ٤٥:٤٩، بيروت، ١٩٧٣م. وراجـــع أيـــضاً: عـــبد الملـــك بن مروان للدكتور محمد ضياء الدين الريس. ط٢، القاهرة، ١٩٦٩م.

(٢) أربى عليه أى زاد عليه فى الكلام والجدل. وبنو على هؤلاء هم بنو على بن بكر بن وائل.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ جـــ٢/٣٢١.

(٤) المصدر السابق، جـــ٢/٣٢٤.

العاص ذلك بأنه تخلق بأخلاق أبيه وترك أخلاقاً أخرى.

" فـروى أنه دخل على معاوية، فسلم وجلس ، فلم يلبث أن نهض فقال معاوية : ما أكمل مروءة هذا الفتى! فقال عمرو: إنه تخلق أخلاقاً ثلاثاً: أخـذ بأحسن البشر إذا لقى ، وبأحسن الحديث إذا حَدث، وبأحسن الاستماع إذا حُـدِّث، وبأيسر المروءة إذا خُولف، وترك مزاح من لا يثق بعقله، وترك الكلام فيما يُعتذر منه، وترك مخالطة لئام الناس." [١]

ولا شـك أن مـا وصـفه بـه كل من الخليفة معاوية بن أبى سفيان، وعمـرو بن العاص، رضى الله عنهما، من صفات اتصف بها وهو غلام. يدلنا على أن تلك الصفات الأدبية القيمة التى اتصف بها كانت متأصلة فيه منذ صغره ولابـد لمـن نشأ على هذه الصفات أن تكون له مكانته الأدبية العالية. مصداقاً لقول القائل:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

فقد كان عبد الملك فصيحاً، يعيب اللحن فى اللغة، وجاء عنه قوله : اللحـن هُجْـنه علـى الشريف والعُجب آفة الرأى. وكان يقول : " اللحن فى المنطق أقبح من آثار الجدرى فى الوجه." [٢]

وجـاء فـى هامش البيان والتبيين : كلامُ عبد الملك هذا ساقه صاحب العقـد الفـريد فى "٢: ٤٧٩"، بلفظ "الإعراب جمال للوضيع، واللحن هجنه على الشريف".

وفى العقد " ٢: ٤٧٨". وقال عبد الملك بن مروان: اللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب والجدرى فى الوجه".

وفـى عيون الأخبار " ٢: ١٥٨" " قال مسلمة بن عبد الملك: اللحن فـى الكـلام أقبح من الجدرى فى الوجه. وقال عبد الملك: " اللحن أقبح من

---

[١] المصون فى الأدب، ص١٣٧.

[٢] البيان والتبيين للجاحظ جـ٢/٢١٦.

التفتيق فى الثوب النفيس".[١]

وخلاصـــة هذه الأقوال تدلنا على كراهية عبد الملك بن مروان للحن فهـــو هجنة على الشريف. ولذلك كان تشبيهه للحن فى الكلام بأنه أقبح من التفتـــيق فى الثوب النفيس وأقبح من الجدرى فى الوجه، ذلك المرض اللعين الـــذى يجعـــل الناس تفرّ من صاحبه ، فعبد الملك يفرّ من اللحن ويبعد عنه حفاظاً على مكانته الأدبية التى يتبوؤها.

ويدلنا على مكانة عبد الملك الأدبية، ما كان عليه ذلك الفتى وهو شاب صـــغير حـــيث اتـــصف منذ نشأته بصفات تدلنا على تبوئه مكانة أدبية عظيمة، حـــيث كـــان قبل توليه الخلافة من العباد الزهاد الملازمين للمسجد التالين لكتاب الله.

يقول نافع : " لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أنـــسك، ولا أقـــرأ لكـــتاب الله مـــن عبد الملك بن مروان."، ويقول عنه الأعمـــش: "كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب ، وعروة ، وقصيبة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل الإمارة." [٢]

وقـــيل لابن عمر رضى الله عنهما: إنكم معشرٌ أشياخ قريش يوشك أن تنقرضـــوا، فمـــن نسأل بعدكم؟ فقال: إن لمروان ابناً فيها فاسألوه، وقال ســـحيم مولى أبى هريرة رضى الله عنه. دخل عبد الملك- وهو شاب- على أبى هريرة – رضى الله عنه – فقال أبو هريرة : هذا يملك العرب"[٣]

والنـــصوص التـــى سقناها آنفاً تحمل بين طياتها شهادة أربعة من رجـــال هـــذا العـــصر. لذلك الفتى – عبد الملك بن مروان – فيشهد له نافع بفقهه وطلبه للعلم وتشميره له وقراءته لكتاب الله.

---

[١] راجع المصدر السابق هامش جـــ٢/٢١٦.

[٢] البداية والنهاية لابن كثير جـــ٥/٨٤. الطبعة الأولى، دار الغد العربى ، القاهرة.

[٣] تـــاريخ الخلفـــاء للسيوطى. ص ٢٥٧ بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت.

والأعمش يشهد له بأنه أحد فقهاء المدينة الأربعة فى ذلك الوقت، أما ابن عمر فإنه يجعله فى المرتبة التالية لأشياخ قريش، فإذا انقرضوا، كانت له مكانة هؤلاء الأشياخ. وأبو هريرة يتوقع له أن يملك العرب.

ولا شك أن شهادة هؤلاء الرجال وهم من هم فى ذلك الوقت لعبد الملك بن مروان لم تأت من فراغ وإنما جاءت لمكانته وعظم قدره بينهم.

ويقول عنه الشعبى : ما جالست أحداً إلا وجدت عليه فضلاً إلا عبد الملك ابن مروان، فإنى ما ذكرته حديثاً إلا وزادنى فيه، ولا شعراً إلا وزادنى فيه، وكان عبد الملك بحكم ثقافته هذه بليغاً فصيحاً... وكان يحفظ الشعر ويرويه ويستسيغه ... وكان حكيماً أجرى كلامه مجرى المثل."[١]

وقالت أم الدرداء لعبد الملك : ما زلت أتخيل هذا الأمر فيك منذ رأيتك. قال: وكيف ذاك؟ قالت: ما رأيت أحسن منك محدّثاً ولا أعلم منك مستمعاً.[٢]

وهذه الشهادة من الشعبى، صاحب المكانة الأدبية الرفيعة فى ذلك العصر، وتفضيله لعبد الملك على نفسه وتقديمه له، وحكمه عليه بأنه كان بليغاً، فصيحاً، يحفظ الشعر ويرويه ويستسيغه، وكان حكيماً ، فجرى كلامه مجرى المثل لحسنه وصيرورته على الألسنة – تدلنا دلالة قوية على مكانة عبد الملك الأدبية، ويدلنا على تلك المكانة أيضاً ما وصفته به أم الدرداء من أنها لم تر أحسن منه محدّثاً، ولا أعلم منه مستمعاً.

وعن ابن عمر أنه قال: ولد الناس أبناء وولد مروان أبا – يعنى عبدالملك ، ورآه يوماً وقد ذُكر اختلاف الناس، فقال: لو كان هذا الغلام اجتمع الناس عليه – وقال عبد الملك : كنت أجالس بريدة بن الحصيب فقال لى يوماً : يا عبد الملك إن فيك خصالاً ، وإنك لجدير أن تلى أمر هذه الأمة، فأحذر الداء، فإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الرجل ليُدْفَع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق."[٣]

---

[١] تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٥٨. وراجع أيضاً : زعماء الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٢٣٠. مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

[٢] تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص ٢٥٨.

[٣] البداية والنهاية لابن كثير جـ٥/٨٤.

وقـــال يحيى الغسانى : لما نزل مسلم بن عقبة المدينة دخلت مسجد النبـــى علـــيه الـــصلاة والسلام، فجلست إلى جنب عبد الملك، فقال لى عبد الملـــك: أمـــن هـــذا الجيش أنت؟ قلت نعم، قال : ثكلتك أمك! أتدرى إلى من تـــسير؟ إلى أول مولود ولد فى الإسلام وإلى ابن حَوَارىَّ النبى عليه الصلاة والسلام وإلى ابن ذات النطاقين، وإلى من حنَّكه النبى صلى الله عليه وسلم. أمـــا والله إن جئته نهاراً وجدته صائماً، ولئن جئته ليلاً لتجدنَّه قائماً، فلو أن أهل الأرض أطبقوا على قتله لأكبهم الله جميعاً فى النار."[1]

فعـــبد الملك بن مروان يعرف لعبد الله بن الزبير مكانته وقدره عند الله وعـــند المـــسلمين. ولا يعرف الفضل إلا ذووه. ولكننا سرعان ما نجده يتغيـــر بعـــد توليه الخلافة، فيكون قتل عبد الله بن الزبير على يديه بعد أن يُـــسير إلـــيه جيشاً كبيراً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى، وقال بكر بن عبد الله المزنـــى: أسلم يهودى اسمه يوسف. وكان قرأ الكتب فمر بدار مروان، فقـــال: ويـــل لأمة محمد من أهل هذه الدار، فقلت له : إلى متى؟ قال: حتى تجـــئ رايـــات ســـود من قبل خرسان. وكان صديقاً لعبد الملك بن مروان، فـــضرب يـــوماً على منكبه ، وقال: اتق الله فى أمة محمد إذا ملكتهم، فقال: دعنى ويحك ما شأنى وشأن ذلك؟ فقال: اتق الله فى أمرهم، قال: وجهز يزيد جيشاً إلى أهل مكة فقال عبد الملك: أعوذ بالله ! أيبعث إلى حرم الله؟ فضرب يوسف منكبيه، وقال: جيشك إليهم أعظم."[2]

وإن صحت هذه الرواية التى جاءت عن ذلك اليهودى لما عنده من معرفة للكتب السابقة وما جاء فيها، فإنها تدل على تنبوء من قرأ تلك الكتب بـــبعض الأحـــداث التى قد تقع مستقبلاً، ومثل هذه الأمور قابل للتصديق أو التكذب، ولكن الذى يعنينا هو وقوع بعض هذه الأحداث فعلاً.

ومـــن خلال تلك النصوص التى ذكرناها عند الحديث عن عبد الملك بن مروان قبل توليه الخلافة. يتضح لنا ما كان يتصف به ذلك الفتى الأموى

---

[1] تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص ٢٥٨: ٢٥٩.
[2] المصدر السابق، ص ٢٥٨.

من حفظ للشعر وحب له، ومن ثم فهو يستسيغه ويرويه، وكذلك اتصافه بالعقل الراجح والفطنة والذكاء. بالإضافة إلى أنه عُرف بزهده وورعه وتقواه، وتفقهه فى الدين وتنسكه وحفظه للقرآن، ومعرفته لمكانة الناس وأقدارهم. فهو يعرف لأهل مكة مكانتهم فهم فى حرم الله الآمن. وكذلك يعرف لابن الزبير قدره وتقواه وورعه ومن ثم فهو لا يرضى عن قتاله. ومحاربته. وكذلك تبين لنا بعض النصوص ما كان يتوقع له من أنه سوف يلى أمر هذه الأمة، ولذلك يحذرونه من البطش وسفك الدماء، وهكذا تتضح لنا مكانة عبد الملك الأدبية التى استطاع أن يحققها قبل توليه الخلافة.

وكيف أن كل هذه الأمور تضافرت فى تكوين تلك المكانة الأدبية الرفيعة التى يتصف صاحبها بتذوقه الأدبى وبحسه المرهف.

وتلك هى مكانة عبد الملك الأدبية التى كان عليها قبل توليه الخلافة. وقد تجلت تلك المكانة الأدبية بآثارها المفيدة فى مظهر آخر من مظاهر حياة عبد الملك، وقد يكون هذا المظهر ضمنى ولكنه يجلى لنا بوضوح مكانته الأدبية وتذوقه الأدبى وحسه المرهف. وهذا المظهر يتجلى فى اختيار عبد الملك لمؤدب أبنائه حيث كان يتخير هؤلاء المؤدبين، وكذلك يختار لهم المادة الأدبية التى كانت نابعة من تذوقه للشعر ومعرفته لأقضاله ، فهو يريد أن يعكس هذه الصورة الأدبية التى هو عليها ليتحلى بها الأبناء ويتربوا عليها، وقد تجلى ذلك بوضوح من سلوكه وتوجيهه لبعض هؤلاء المؤدبين حيث كان يحثهم على تأديب أولاده وتعليمهم أصول الدين وارتشاف معالم العلم والأدب والشعر واللغة. والتحلى بمكارم الأخلاق، وقول الصدق، وصلة الأرحام. يقول: " علم بنى القرآن وحذقهم بمكارم الأخلاق وحثهم على صلة الأرحام، ووقرهم فى الملأ وأخفهم فى السر، فإن الأدب أملك بالغلام من الحسب وتهددهم بىّ، وأدبهم دونى، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يفهموه، فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة الفهم."[1]

وبذلك كان عبد الملك يرسم الطريق ويوضحه أمام مؤدب أبنائه.

---

[1] أنساب الأشراف للبلاذرى جـ١١/١٩٦ – مخطوطة.

ومن ثم نجده يقول لمعلم ولده: " إنى قد اخترتك لتأديب ولدى وجعلتك عينى عليهم وأمينى فاجتهد فى تأديبهم، ونصيحتى فيما استنصحك فيه من أمرهم علمهـــم كتاب الله – عز وجل – حتى يحفظوه، وفقهم على مَا يبيَن الله فيه مـــن حـــلال وحرام حتى يعقلوه، وخذهم من الأخلاق بأحسنها، ومن الآداب بأجمعها، وروهم من الشعر أعفه ومن الحديث أصدقه." [1]

ويقـــول عـــبد الملك : " تعلموا الشعر ففيه محاسن تُبْتَغى ومساوئ تُتَّقى"[2]

وعـــندما دفـــع عبد الملك بعض ولده إلى الشعبى ليؤدبهم قال له: " علمهم الشعر يَمْجُدوا ويَنْجُدوا"[3].

ومـــن خلال هذين النصين الأدبيين وما سبق من نصوص يتضح لنا مـــا لـــتعلم الشعر من أثر عظيم على متعلمه. ولعله يكون فى تلك الشواهد والنـــصوص التـــى ذكرناها ما يدلنا على تذوق عبد الملك بن مروان الأدبى وحبه للشعر ومعرفته لمكانته وأهميته.

٢- بعد توليه الخلافة :

بعـــد أن تولـــىَ عبد الملك بن مروان الخلافة نجد أن حاله قد تغير فأصـــبح بعد ما عُرف بزهده وتقواه وورعه، يُعرف بجبروته وقسوته على كـــل من يخالفه، وكذلك بُعده عن الدين والنسك والعبادة وحبه لسفك الدماء، وانتهاك حرمات الصحابة، وإطلاقه ليد عماله وولاته يؤدبون كل من يحاول الخـــروج علـــيهم. فقد كان لعبد الملك إقدام على سفك الدماء. وكان حازماً فطناً، فهما سائساً لأمور الدنيا فهو لا يكل أمر دنياه إلى غيره.

وذكـــر : " أن عبد الملك كان يجلس فى حلقة أم الدرداء فى مؤخرة المـــسجد بدمـــشق. فقالت له: بلغنى أنك شربت الطلاء بعد النسك فقال: أى

---

[1] عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، لمحمد ضياء الدين الريس. ص ٢٤٩: ٢٥٠.

[2] محاضرات الأدباء جـ١/ ٨٠ للراغب الصبهانى، بيروت.

[3] الأدب المفرد للبخارى ص ٣٨١ ، حققه محمد هشام البرهانى، المطبعة العصرية، أبو ظبى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

والله والدماء أيضاً قد شربتها. ثم جاءه غلام كان قد بعثه فى حاجة. فقال ما حسبك، لعنك الله؟ فقالت أم الدرداء: لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإنى سمعت أبـا الـدرداء يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يدخل الجنة لعان."

وقـيل لسعيد بن المسيب : إن عبد الملك بن مروان قال : قد صرت لأفـرح بالحـسنة أعملها، ولا أحزن على السيئة أرتكبها، فقال سعيد: الآن تكامل موت قلبه.(١)

وذكـر أنـه : " قدموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الملك بن مروان لتـضرب عنقه، ودخل على عبد الملك ابن له صغير، قد ضربه المعلم، وهو يبكـى، فهَّـم عـبد الملك بالمعلم. فقال له الخارجى: دعوه يبكى فإنه أفتح لجـرمه، وأصح لبصره، وأذهب لصوته، فقال عبد الملك: أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا؟ قال الخارجى: ما ينبغى لمسلم أن يشغله عن قول الحق شىء! فأمر بتخلية سبيله".(٢)

والـذى يعنيـنا فـى هـذا الموقف هو تذوق الخليفة عبد الملك بن مـروان لـتلك العـبارات الأدبية التى قالها ذلك الرجل وكذلك فهمه الدقيق لمعانـيها ومدلولاتها ، ومن ثم قد يكون ذلك سبباً من الأسباب التى أدت إلى عفوه عن قائلها.

وذُكر أنه: " كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يعظم أمر قطرىّ بـن الفجـاءة المازنى. فكتب إليه عبد الملك : أوصيك بما أوصى به البكرى زيـداً فقـال الحجـاج لحاجبه: نادى الناس: من يخبر الأمير بما أوصى به البكـرى زيـداً فله عشرة آلاف درهم. فقال رجل للحاجب: أنا أخبره فأدخله علـيه فقـال لـه: ما قال البكرى لزيد؟ قال : قال لابن عمه زيد – والشعر لموسى بن جابر الحنفى:

أقـول لـزيدٌ لا تُتَرِّبْ فـإنهم ... يـرون المـنايا دون قتلك أو قتلى

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٥/٨٩ : ٩٠.
(٢) البيان والتبيين للجاحظ جـ١/٢٥٩.

فـــإن وضعوا حريا فضعها وإن أبوا فشبَّ وقود الحرب بالحطب الجزل
فـــإن عَضَّت الحرب الضروس بنابها فعرضـــة نار الحرب مثلك أو مثلى

فقال الحجاج : صدق أمير المؤمنين : عرضه نار الحرب مثلك أو مثلى."[1]

فالخليفة هنا يكتب لأحد ولاته وهو الحجاج بن يوسف ويوصيه بما أوصى البكرى زيدا.

فالخلـيفة إذن يعـرف ذلك الشعر الذى قاله البكرى لابن عمه زيد ويـتذوقه ويفهم معانيه ودلالاتها ولا يريد أن يعلمها للناس. والحجاج يسأل عمـا أوصـى بـه البكرى ابن عمه زيد ويعطى لمن يخبره به عشرة آلاف درهـم. وهنا يكون لفهم الشعر وتذوق معانيه دوراً مهماً بين الخليفة وأحد ولاته فى تنفيذ ما يأمره به.

روى أن أنـس بن مالك كتب إلى عبد الملك يشكو الحجاج، ويقول فـى كـتابه " لـو أن رجـلاً خدم عيسى ابن مريم أو رآه أو صحبه، تعرفه النـصارى أو تعـرف مكانـه – لهاجـرت إليه ملوكهم، ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة ولعرفوا ذلك له.

ولو أن رجلاً خدم موسى أو رآه، تعرفه اليهود، لفعلوا به من الخير والمحـبة، وغيـر ذلك ما استطاعوا. وإنى خادم رسول الله صلى الله عليه وسـلم وصاحبه، رأيته، وأكلت معه ودخلت وخرجت وجاهدت أعداءه، وإن الحجاج قد أضرّ بى وفعل وفعل.

قـال أخبرنـى من شهد عبد الملك يقرأ الكتاب، وهو يبكى ويبلغ به الغـضب مـا شـاء الله. ثم كتب إلى الحجاج بكتاب غليظ فجاء إلى الحجاج فقرأه فتغير، ثم قال إلى حامله: انطلق بنا إليه نترضّاه.[2]

---

[1] ذيل الأمالى للقالى، ص ٧٢.
[2] البداية والنهاية لابن كثير جـ٥/٨٧.

وهذا ولا شك يدلنا على فهم عبد لملك وتقديره لمكانة أنس بن مالك رضى الله عنه، وتذوقه لعباراته وفهم مدلولاتها، وما تنم عنه من معانى عبر بها أنس رضى الله عنه عن الألم الشديد الذى ألحقه به الحجاج وعدم مراعاته لصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وخدمته له.

وذكر : " أنه لما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان تاقت نفسه إلى محادثة الرجال والإشراف على أخبار الناس فلم يجد من يصلح لمنادمته غير الشعبى، فلما حمل إليه ونادمه وحظى عنده، قال له: يا شعبى، لا تساعدنى على ما قبح، ولا ترد علىَّ الخطأ فى مجلس، ولا تكلفنى جواب التشميت والتهيئة، ولا جواب السؤال والتعزية، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى، وكلمنى بقدر ما استطعمك ، واجعل بدل المدح لىّ صواب الاستماع منى، وأعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول، وإذا سمعتنى أتحدث فلا يفوتنك عنه شىء وأرنى فهمك فى طرقك وسمعك، ولا تجهد نفسك فى تطرية جوابى ولا تستدع بذلك الزيادة فى كلامى، فإن أسوأ الناس حالاً من استنكر الملوك بالباطل وإن أسوأ حالاً منهم من استخف بحقهم.

وأعلم يا شعبى أن أقل من هذا يذهب بإلف الإحسان ويسقط حق الحرمة، فإن الصمت فى موضعه ربما كان أبلغ من المنطق فى موضعه وعند إصابته فرصة." [1]

ويتضح لنا مما سبق أن الخليفة عبد الملك بن مروان كان تواقاً لمحادثة الرجال ومنادمتهم وخاصة الأدباء ومن ثم لا يصلح له إلا الشعبى، فلما حمل إليه وحظى عنده أراد أن يخبره ببعض الآداب التى يجب أن يراعيها عند منادمته حتى يلتزم بها الشعبى وتكون دافعاً لدوام المنادمة. وقد تنوعت تلك الآداب وتعددت مراميها حتى تكون الفائدة المرجوة منها أشمل وأعظم وقد ختمها بتلك الحكمة وهى أن الصمت فى موضعه ربما كان أبلغ من المنطق فى موضعه. ولاشك أن صدور تلك القطعة الأدبية الرائعة

[1] مروج الذهب للمسعودى، جـ٢/٧١ : ٧٢.

عـــن الخلـــيفة بمـــا تحمل من معانى رائعة وتوجيهات وإرشادات تحمل بين طـــياتها إطـــاراً عامـــاً لمخاطبة الملوك والتأدب معهم،تدل بحق على مكانة الخليفة الأدبية وفهمه الدقيق وحكمته البالغة، ولا شك أن هذا الذى جاء من الخلـــيفة عـــبد الملك بن مروان يتفق كثيراً مع ما جاء من الناقد ابن رشيق القيروانى حيث يقول :

" وســـبيل الـــشاعر – إذا مـــدح ملكـــاً – أن يسلك طريقة الإيضاح والإشـــادة بذكر الممدوح. وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية، غير مبتذلة ولا ســـوقية ويتجـــنب – مع ذلك – التقصير والتجاوز والتطويل، فإن للملك ســـآمة وضـــجراً ربمـــا عـــاب مـــن أجلهـــا مالا يعاب. وحرم من لا يريد حرمـــــانه." (١)

وممـــا يدلـــنا أيـــضاً علـــى مكانته الأدبية ما كان يتمتع به من حب الاســـتماع لمن يحدثه ويقدم ذلك على الأكل والشرب . فقد روى عن الشعبى قال : ربما حدثت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى. وقد هيأ للقمة فيمسكها فى يده مقبلاً علىَّ، فأقول : أحرّها يا أمير المؤمنين، فإن الحديث من ورائها، فيقول : الحديث أشهى إلىَّ منها. قال: وكان من كلامهم: ما رأيت أحداً أطرَّ ضرساً ولاأسرع إحادة للرغيـــف منه."(٢)

وهذا يدلنا على ما كان عليه الخليفة من حب للأدب والاستماع إليه وإلى محدثه رغبة فى الاستزادة منه وتقديم ذلك على الأكل والشرب.

يقـــول عـــبد الملك : " والناس إلى شىء من الأدب أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التى بها يتعاورون الكلام، ويتعاطون البيان ويتهادون الحكمة ويـــستخرجون غـــوامض العلم، ويجمعون ما تفرق منها ، فإن الكلام قاض يحكم بين الخصوم – ضياء يجلو الظلم وحاجة الناس إلى مواده حاجتهم إلى مواد الأغذية".(٣)

---

(١) العمدة لابن رشيق القيروانى جـ٢/١٢٨.

(٢) ذيل الأمالى والنوادر للقالى، ص ٨١.

(٣) لـــباب الألـــباب لأسامة بن منقذ ص ٢٢٩ دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٠هـــ – ١٩٨٠م.

فهـذا النص الأدبى الذى صدر عن الخليفة يدل على معرفته بقيمة الأدب وأهميـته ومدى حاجة الناس إليه، فهو بالنسبة إليهم كالغذاء الذى لا يـستطيع أى إنسان أن يعيش بدونه أو يستغنى عنه، فهو يقيم ألسنتهم كما يقيم الغذاء بنيانهم ولذا فهم يتعاطون البيان ويتهادون الحكمة، وهو القاضى الذى يحكم بين الخصوم والضياء الذى يجلو الظلم".

وهكـذا يتـضح لنا أن مكانة عبد الملك بن مروان الأدبية لم تتغير كثيـراً عمـا كانـت عليه قبل توليه الخلافة، يدلنا على ذلك شوقه لمنادمة الأدباء ومن ثم وقع اختياره على الشعبى لما له من مكانة أدبية مرموقة فى ذلـك الوقت. وكذلك تذوقه وفهمه وتقديره لما يسمع من عبارات أدبية تؤثر فى النفس لشدة جمالها الأدبى وأيضاً لتذوقه النقدى الذى جاء مطابقاً للكثير مما رآه النقاد فى العصور التالية.

وإنمـا الـذى تغير بعض الشئ هو الجانب الأخلاقى والدينى عند عبد الملـك، وقـد يكون عبد الملك معذوراً فى ذلك لأن للسلطان شهوة تغير النفوس وتـبدل الطبائع. كما أن الظروف التى تولى فيها عبد الملك الخلافة كانت صعبة ودقـيقة، وتحتاج إلى هذا التغيير وإلا فلت الأمر من يده. ولكن ذلك قد لا يكون عـذراً مقـبولاً. وخاصة إن عبد الملك عُرف قبل توليه الخلافة بتقواه وروعه وعـدم رضـاه عمـا كان يحدث لعبد الله بن الزبير ولأهل الحرم وغير ذلك من أمور.

٣ – بعض آثاره الأدبية :

الحقيقة المؤكدة أننى لم أقف إلى الآن على دراسة قائمة على جمع الآثـار الأدبية شعرية أو نثرية للخليفة عبد الملك بن مروان.. ولذلك فالكثير مـن هذه الآثار ما زال مبثوثاً فى مظان الكتب الأدبية والتاريخية. إلا ما كان من الأستاذ الدكتور أحمد زكى صفوت، من جمع لبعض خطبه ووصاياه. فى

كتابه الموسوم بجمهرة خطب العرب[1].

ولـــيس غرضـــي فـــي هذا البحث أن أقوم بجمع ذلك التراث الأدبى ،ولكـــن الذى أردت هو الإشارة إلى بعض هذه النصوص الأدبية القيمة التى صدرت عن الخليفة عبد الملك بن مروان.

لعلنـــي أســـتطيع من خلال تلك النصوص أن أتبين مكانته الأدبية ، ومـــن ثم أدلل على تذوقه الأدبى والنقدى. فصاحب الذوق الفنى يتضح ذوقه فـــيما يـــصدر عـــنه من خطب ووصايا وحكم وأشعار وغيرها، أو من خلال تذوقه وتأمله لما يسمع أو يقرأ. فقد " كان خلفاء بنى أمية يجيدون الخطابة ولا ســـيما معاوية ويزيد ابنه، وعبد الملك وسليمان بن عبدالملك وعمر بن عبد العزيز""[2]

وقـــد روى ابـــن أبى الحديد جانباً من مفاخرات بنى أمية وبنى هاشم، وكـــان ممـــا تفاخروا به كثرة الخطباء. ففخر بنو أمية بمعاوية بن أبى سفيان: "أخطـــب الـــناس قائمـــاً وقاعداً وعلى منبر وفى خطبة نكاح". ويزيد ابنه وكان إعرابـــي اللـــسان، يـــدوّ اللهجة. وفخروا كذلك بعبدالملك وسليمان والوليد بن يـــزيد ويـــزيد الناقص. كما فخروا بمن عُرف بإجادة الخطابة من سائر الأسرة الأموية.[3]

وهـــذا يدلـــنا على مكانة الخليفة عبد الملك بن مروان الخطابية بين خطـــباء عصره، فهو يأتى ضمن من كانوا يفخرون بهم فى هذا المجال من بنـــى أمـــية. ولعـــل مـــن أهم تلك الآثار الأدبية التى تركها لنا هذا الخليفة الأموى:

---

(1) جمهـــرة خطـــب العرب. للدكتور أحمد زكى صفوت، جـــ٢/١٩٩٢: ١٩٩. المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

(2) الخطابـــة العربية في عصرها الذهبى للدكتور إحسان النص ، ص ٢٦٨. دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

(3) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد جـــ٣/٤٧٧١. مصر ١٣٢٩هـــ.

أولاً – الخطـــــــــــــب :

وهى تلك الخطب التى تحمل بين طياتها الكثير من المعانى والأفكار، فقـد كان لا يجهل أنه ظفر بالحكم عن طريق القوة والبطش، وإن معظم أهل الأمصار، مادانوا له إلا مكرهين. وإن تظاهروا بالطاعة والولاء. ولذلك فهو يعمـد فـى خطبه إلى التهديد والوعيد والتنكيل حتى يرتدع من تحدثه نفسه بالعصيان والتمرد.

١ – يقـول فـى خطـبة لـه : " أيهـا الـناس إنى والله ما أنا بالخليفة المستـضعف " يـريد عثمان بن عفان " ولا بالخليفة المداهن " يريد معاويـة بن أبى سفيان" ولا بالخليفة المأفون " يريد يزيد بن معاوية" فمن قال برأسه كذا قلنا له بسيفنا كذا".

ويعلـق أبـو إسـحاق النظام على تلك الخطبة بقوله : " أما والله لولا نـسبك مـن هـذا المستـضعف، وسبيلك من هذا المداهن لكنت منها أبعد من العـيوق، والله ما أخذتها بوراثة ولا سابقة ولا قرابة، ولا بدعوى شورى، ولا بوصية."[1]

وواضـح مـا فى تلك الخطبة من تهديد وتلويح بالسيف، فمن أشار برأسـه رافـضاً فلـيس لـه إلا السيف قاطعاً، وبذلك تكون الطاعة مقترنة بالـسيف عـند الخليفة عبد الملك بن مروان، فهو ينفى عن نفسه الضعف الذى نسبه البعض إلى عثمان والمداهنة التى نسبت إلى معاوية، والخطل فى الرأى الذى نسب إلى يزيد بن معاوية.

٢ – وعلـى هـذه الوتيرة وتلك النغمة القوية جاءت خطبته التالية حيث يقـول: " أيهـا الناس إن الحرب صعبة مرة وإن السِّلم أمن ومسرَّة، وقد زينتنا الحرب وزبنَّاها فعرفناها وألفناها؛ فنحن بنوها وهى أمُّنا.

أيهـا الـناس، فاستقيموا على سُبل الهدى؛ ودعوا الأهواء المردية وتجنـبوا فـراق جماعات المسلمين. ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين؛

---

[1] ينظر هامش جمهرة خطب العرب للدكتور أحمد زكى صفوت، ص ١٩٢.

وأنـــتم لا تعملـــون أعمالهم؛ ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شراً، ولن نـــزداد بعـــد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلا عقوبة؛ فمن شاء منكم أن يعود بعدُ لمثلها فليعد، فإنما مثلى ومثلكم كما قال قيس بن رفاعة :

مَـــنْ يَـــصل نـــار بلا ذَنْبٍ ولا ترةٍ ... يـــصل بـــنار كـــريمٍ غيـــر غدَّار.
أنـــا النذيـــر لكـــم منـــى مجاهرةً ... كـــىّ لا ألامَ علـــى نَهْـــى وإنـــذار
فـــإن عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا ... إن سوف تلقون خِزيا ظاهر العار.
لتـــــرجعُنَّ أحاديـــــثاً مُلعَـــــنة ... لهْـــوَ المقيح ولهوَ المدلج السارى
مـــن كان فى نفسه حَوجاء يطلبها ... عـــندى فإنـــى لـــه رَهْنَ بإصحَار
أقـــيم عَوجـــتَه إن كـــان ذا عَوج ... كمـــا يقـــومُ قـــدحَ النـــبعةِ البارى
وصـــاحبُ الوتر ليس الدَّهَر مُدْركه ... عـــندى وإنـــى لـــدَرّاك بأوتار. (1)

وعـــندما ننظـــر لهـــذه الخطـــبة نجد أن الخليفة يوازن بين الحرب ومـــرارتها وصعوبتها وبين السّلم وأمنه ومسرته. ثم يذكر معرفتهم بالحرب ودارايتهم بفنونها فهم بنوها.

وبعـــد ذلـــك التهديد والوعيد نجده يدعو الرعية إلى الاستقامة على سبل الهدى. وترك الأهواء المردية وتجنب فراق جماعة المسلمين والخروج علـــيهم. ثـــم يذكرهم بألا يطالبون الحاكم بأعمال المهاجرين الأولين وهم لا يعملـــون أعمـــالهم. ثم يبين لهم أنه لا يظن بهم بعد هذه الموعظة إلا الشر، وفـــى المقابـــل فـــإنهم لن يزدادوا بعد هذا الإعذار إليهم والحجة عليهم إلا عقوبة.

ثـــم نجـــده يخـــتم خطبـــته بالتمثل بأبيات من الشعر جاءت على لسان الشاعر قيس بن رفاعة. وهى تحمل بين طياتها أيضاً تهديداً ووعيدا كالذى جاء فى الخطبة.

ومـــن ثم يتضح لنا من خلال خطبته تلك وتمثله بشعر قيس بن رفاعة

(1) الأمالى للقالى، جـ١/١١ :١٢.

قدرتـــه علـــى الفهـــم والتذوق ، فهو يحاول أن يقنع رعيته بما يجب عليهم من الطاعـــة وعـــدم الخـــروج علـــى الجماعة، مبرهناً على رأيه من واقعهم الذى يعيـــشونه، محـــذرهم مـــن نتـــيجة خروجهم وعدم طاعتهم مبيناً أن عاقبة ذلك ســـتكون وخـــيمة مستشهداً ومتمثلاً بما يحفظ من شعر. لأنه يعلم ما للشعر من أثر عظيم فى نفوسهم.

٣ – ومن الخطب التى تندرج تحت هذا النوع أيضاً تلك الخطبة التى يقول فـــيها: " أيهـــا الـــناس إن الله حدّ حدوداً، وفرض فروضاً فما زلتم تزدادون فى الذنب، ونزداد فى العقوبة، حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف"[١].

وواضـــح مـــا تحمله تلك الخطبة المؤجزة من معانى التهديد. فكلما ازدادت الـــرعية فـــى الـــذنب، كلما ازداد الحاكم فى العقوبة وكان احتكامهم للـــسيف. فالخروج على الطاعة هنا لا يعنى غير الذنب، والذنب لا يستوجب ســـوى العقـــوبة. والعقـــوبة لا تقترن إلا بالسيف، وبذلك يتدرج الخليفة فى خطبـــته على هذا النحو حتى تنتهى بصورة واحدة يقف عندها وهى صورة السيف.

٤ – كثيـــراً ما كان الخليفة عبد الملك بن مروان يلجأ إلى أسلوب التمثيل أو التـــشبيه فـــى خطبه فيوازن حالة بأخرى ليكون كلامه أوقع فى النفس وأبلـــغ فـــى التأثير وهو غالباً ما يستمد ذلك من الأمثال المتداولة فى البيئة حينئذ أو المأخوذة من القرآن الكريم.

فعـــندما رفض أهل المدينة قبول عطاء عبد الملك لأنه أعطاهم من الصدقات ، لا من الفىء قال فيهم خطبة وصف فيها حاله وحالهم حيث شبه فيها حاله وحال قريش بقصة الرجلين والحية التى تأتى بالدنانير.

يقـــول عـــبد الملـــك : " يا معشر قريش مثلنا ومثلكم أن أخوين فى

---

[١] العقـــد الفريد لابن عبد ربه جـــ٢/٢٦٣ – طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر ١٩٤٠.

الجاهلـــية خرجا مسافرين، فنزلا فى ظل شجرة تحت صفاة، فلما دنا الرواح خرجت إليهما من تحت الصفاة حية تحمل ديناراً فألقته إليهما، فقالا: إن هذا لمن كنز. فأقاما عليها ثلاثة أيام ، كل يوم تخرج إليهما ديناراً، فقال أحدهما لـــصاحبه: إلـــى متى ننتظر هذه الحية؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه؟ فنهاه أخوه، وقال له: ما تدرى لعلك تعطب ولا تدرك. فأبى عليه، وأخذ فأساً معـــه ورصد الحية حتى خرجت ، فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها، فـــثأرت الحية فقتلته، ورجعت إلى جحرها، فقام أخوه فدفنه، وأقام حتى إذا كـــان مـــن الغد خرجت الحية معصوباً رأسها ليس معها شىء. فقال لها: يا هـــذه إنـــى والله ما رضيت ما أصابك، ولقد نهيت أخى عن ذلك، فهل لك أن تجعلى الله بيننا ألا تضرينى وألا أضرك، وترجعين إلى ما كنت عليه؟

قالت الحية: لا. قال : ولم ذلك؟ قالت : إنى لأعلم أن نفسك لا تطيب لى أبداً وأنت ترى قبر أخيك،ونفسى لا تطيب لك أبداً وأنا أذكر هذه الشجة".

وأنشدهم شعر النابغة :

فقالت : أرى قبراً تراه مقابلى وضربة رأس فوق رأسى فاقرة

فـــيا معـــشر قريش، وليكم عمر بن الخطاب فكان فظاً غليظاً مضيقاً عليكم، فـــسمعتم لـــه وأطعـــتم، ثم وليكم عثمان فكان سهلاً ليناً كريماً فعدوتم عليه فقتلـــتموه، وبعثـــنا علـــيكم مسلماً يوم الحرة فقتلتموه. فنحن نعلم يا معشر قـــريش أنكـــم لا تحبونـــنا أبداً وأنتم تذكرون يوم الحرة ونحن لا نحبكم أبداً ونحن نذكر مقتل عثمان." [1]

ويتضح لنا من تلك الخطبة أن الخليفة مثل حاله وحال قريش عندما رفض أهل المدينة قبول العطاء على أنه من مال الصدقة، وليس من الفىء. بحـــال الـــرجلين والحية. فلا يأمن أحدهما للآخر. وكذلك نجده يتمثل بشعر النابغة مدللاً به على ما يريد.

٥ – ومـــن ذلك أيضاً ما كتبه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى أحد ولاته

[1] مروج الذهب للمسعودى، جـ٢/٩٣.

وهـو الحجاج بن يوسف الثقفى وذلك عندما أسرف فى قتل أسارى دير الجماجم وإعطائه الأموال. فكتب إليه يقول :

" أمـا بعـد فقـد بلغ أمير المؤمنين سرفك فى الدماء، وتبذيرك فى الأموال، ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس وقد حكم علـيك أميـر المؤمنـين فـى الدماء فى الخطأ الدية وفى العمد القود، وفى الأموال ردها إلى مواضعها ، ثم العمل فيها برأيه، فإنما أمير المؤمنين أمين الله. وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل.

فـإن كنت أردت الناس له فما أغناهم عنك، وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم، وسيأتيك من أمير المؤمنين أمران لين وشدة، فلا يؤنسنك إلا الطاعـة، ولا يوحـشنك إلا المعصية، وظن بأمير المؤمنين كل شىء إلا احتماك على الخطأ وإذا أعطاك الظفر على قوم فلا تقتلن جانحاً ولا أسيراً.

وكتب فى أسفل كتابه :

إذا أتـت لـم تترك أموراً كرهتها ... وتطلـب رضـائى بالذى أنا طالبه
وتخـشى الذى يخشاه مثلك هارباً ... إلـى الله مـنه ضيع الدهر حالبه
فـإن تـر منـى غفلـة قرشـية ... فـيا ربمـا قد غص بالماء شاربه
وإن تـر منـى وثـبة أمـوية ... فهـذا وهـذا كـل ذا أنـا صاحبه
فـلا لا تلمنـى والحـوادث جمة ... فإنـك مجـزى بمـا أنـت كاسبه
ولا تعـد مـا يأتيك منى وإن نعد ... يقـوم بهـا يـوماً علـيك نوادبه
ولا تنقـصن للـناس حقـاً علمته ... ولا تعطـين مـا لـيس لله جانبه

وهى أبيات من جيد ما اخترناه من قول عبد الملك [1].

وهـذا الذى جاء من الخليفة لأحد ولاته وهو الحجاج بن يوسف الثقفى الـذى عُـرف ببطشه وجبروته. يحذره من التمادى فى سفك الدماء والتبذر فى عطـاء الأمـوال. وهما خصلتان لا يريدهما الخليفة لأحد من الناس. ولذا نجده

---

[1] المرجع السابق نفسه.

يحكـــم علـــيه فى الدماء – فى الخطأ الدية، وفى العمد القود. وفى الأموال ردها إلـــى مواضعها. ولا غرابة فى ذلك فالخليفة أمين الله وسلطانه فى أرضه وسيان عـــنده مـــنع حق أو إعطاء باطل. ثم يحذره بأنه سوف يأتيه من أمير المؤمنين أمـــران، لين وشدة، فلا يؤنسنه إلا الطاعة ولا يوحشنه إلا المعصية. وأن يظن بأميـــر المؤمنين كل شىء إلا احتماله على الخطأ. ثم ينصحه إذا تحقق له النصر فلا يقتل جانحاً ولا أسيراً.

وإذا نحـــن تأملـــنا قـــوله " فـــلا يونـــسنك إلا الطاعة ولا يوحشنك إلا المعـــصية". نجـــد تلك الصورة التمثيلية التى يصور فيها أمير المؤمنين الطاعة بـــشىء مـــادى يـــؤنس، والمعـــصية بشىء مادى يوحش ويرهب. ولاحظ تلك المـــوازنة بين صورة الطاعة وصورة المعصية ليتضح لك ، مدى تذوق الخليفة الأدبى وحسه البيانى الذى مكنه من الإمساك بناصية البلاغة والبيان.

ثـــم نجـــده يخـــتم كتابه بأبيات من الشعر تحمل بين طياتها تهديداً ووعـــيداً لذلك الوالى حتى يحمله على عدم الخروج عن طاعته. والعدل بين الـــناس وإنصافهم. ومستشهداً بذلك على ما جاء فى كتابه مدللاً على ذوقه وحسه الشعرى الجيد وعلمه ما للشعر من أثر عظيم فى النفوس.

٦ – وهـــذا الـــذى ذكرناه آنفاً عن خطبه السياسية التى يتضح من خلالها بمـــا لايـــدع مجـــالاً للشك، تمكنه من هذا الفن الأدبى، وكذلك أيضاً جـــاءت بعض خطبه الدينية. فكثيراً ما كان يختم تلك الخطب بالحمد أو الـــدعاء أو الاســـتغفار. ومـــن ذلـــك قوله : " اللهم إن ذنوبى قد عظمت وجلت عن أن تحصى وهى صغيرة فى جنب عفوك".[1]

وهـــذا الـــذى جـــاء من الخليفة لا غرابة فيه فقد عرف قبل توليه الخلافـــة بنسكه وزهده وورعه وتقواه ولذلك ظهرت فى خطبته تلك الناحية الدينية من حمد لله والثناء عليه وطلبه للتوبة والاستغفار.

قـــال الأصمعى: " خطب عبد الملك فحصر ، فقال : إن اللسان بضعة مـــن الإنسان وإنا نسكت حصراً ولا ننطق إلا هذراً ونحن أمراء الكلام، فينا

[1] العقد الفريد لابن عبد ربه ، جـــ٤/ ٩٠.

رسخت عروقه، وعلينا تدلت أغصانه ويعد مقامنا هذا مقام ويعد عُينا هذا مقال، ويعد يومنا هذا أيام يعرف فيها فصل الخطاب وموضع الصواب." [١]

وهذا الذى جاء عن الخليفة يدلنا على تمكنه من الخطابة وأنه يصول ويجول فيها فإن لم يكن فى هذا اليوم ففى غيره من الأيام وإن لم يكن فى هذا المقام فيعد مقامنا هذا مقام.

ويلاحظ " أنه قد توافر للجمهور فى ذلك العصر قسط وافر من الإحساس الأدبى والروح النقدية والمعرفة بأسرار البلاغة القولية – جعل الخطباء يتهيبون لقاءه وتعتريهم الرعشة حينما يخطبون أمامه وربما اعتراهم الحصر، وارتج عليهم المنبر وربما تصبب العرق منهم لشدة اضطرابهم. [٢]

حتى إن عبد الملك بن مروان قد اعتراه الحصر فى إحدى خطبه، ولم ينج من رعشة المنابر، قال الأصمعى : " قيل لعبد الملك : أسرع إليك الشيب، فقال وكيف لا؛ وأنا أعرض نفسى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين؟ وقال غيره: قيل لعبد الملك : أسرع إليك الشيب، فقال : أو تنسى ارتقاء المنابر ومخافة اللحن"[٣].

وفى ذلك دلالة على ما كان يتمتع به الخليفة من سمات خطابية عظيمة كغيره من خطباء عصره مما يدلنا على مقدرته البلاغية وتذوقه الأدبى الذى استطاع من خلاله أن يرضى جمهوره ويستميلهم إليه.

ب – وصـــــاياه :.

فإذا ما تركنا الحديث عن فن الخطابة لنتلمس تلك المكانة الأدبية عند ذلك الخليفة محاولين فى جانب آخر من جوانب فن النثر. لوجدنا أن الوصايا تأتى فى المنزلة التالية للخطابة. حيث صدر عنه الكثير من الوصايا

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير جـ٥/٨٦ : ٨٧.
[٢] الخطابة العربية فى عصرها الذهبى للدكتور إحسان النص ، ص ٢٤٧.
[٣] البداية والنهاية لابن كثير جـ٥/٨٧.

المتنوعة والشاملة لنواحى الحياة المختلفة:

١ - وصـــيته لولده عند وفاته : حيث نظر إلى ابنه الوليد وهو يبكى على رأسه فقال: " يا هذا أحنين الحمامة؟ إذا أنا مت فشمر واتَّزر والبس جلد نمر وضع سيفك على عاتقك، فمَنْ أبدى ذات نفسه لك، فأضرب عنقه ومن سكت مات بدائه".

ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا، فقال : " إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لقلـــيل، وإن كنا منك لفى غرور".. ثم أقبل على جميع ولده فقال : " أوصيكم بتقوى الله، فإنها عصمة باقية، وجنة واقية ، فالتقوى خير زاد، وأفضل فى المعـــاد، وهـــى أحـــصن كهف، وليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الـــصغير حـــق الكبيـــر، مـــع سلامة الصدور، والأخذ بجميل الأمور. وإياكم والبغى والتحاسد، فيهما هلك الملوك الماضون، وذوو العز المكين .. يا بنى أخـــوكم مسلمة نابكم الذى تفرّون عنه، ومجُنكم الذى تستحنون به، أصدروا عن رأيه، وأكرموا الحجّاج فإنه الذى وطأ لكم هذا الأمر، كونوا أولاداً أبراراً ، وفى الحروب أحراراً، وللمعروف مناراً وعليكم السلام." [١]

وفى الحقيقة أن تلك الوصية التى صدرت عن الخليفة عبد الملك بن مـــروان تعـــد من أكثر وصاياه تنسيقاً وإعداداً جيداً حيث حملت بين طياتها الكثيـــر، فمـــنها السياسى كقوله : " يا هذا أحنين الحمامة؟ إذا أنا مت فشمر واتـــزّر والبس جلد نمر وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه لك، فأضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه."

" والوصـــايا السياسية تعكس ما يتحلى به الموصى من دهاء وبعد نظر وحنكة سياسية وخبرة بنفوس الرعية وطريقة معاملتها..."[٢]

ومـــن هـــنا كانـــت وصـــية عبد الملك لابنه الوليد حيث خطط فيها لـــسياسة بنى أمية نحو رعيتهم وما يجب على ابنه الوليد أن يفعله ، وكذلك

---

[١] جمهرة خطب العرب للدكتور أحمد زكى، جـ٢/١٩٩.
[٢] الخطابة العربية فى عصرها الذهبى للدكتور إحسان النص، ص ١٩١.

نجد فى تلك الوصية أيضاً الحكمة الخالصة التى اكتسبها الموصى من تجاربه فى الحياة، فهو يعطى خلاصة تلك التجارب لابنه وولى عهده. فيقول فى ذم الدنيا " إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لقليل وإنا كنا منك لفى غرور."

كذلك جاء فى تلك الوصية أيضاً ما عُرف بالوصايا الدينية ، التى تدلنا على نسكه وتقواه وورعه ، وما عُرف به فى بداية حياته، حيث يقول: "أوصيتكم بتقوى الله، فإنها عصمة باقية، وجنة واقية . فالتقوى خير زاد، وأفضل فى المعاد، وهى أحصن كهف."..

وهناك أيضاً فى تلك الوصية جانب اجتماعى أو ما عُرف بالوصايا الاجتماعية التى يكون لها دورها الفعال فى ترابط المجتمع وقوة تآلفه ونجد ذلك فى قوله " وليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير حق الكبير، مع سلامة الصدور والأخذ بجميل الأمور، وإياكم والبغى والتحاسد، فبهما هلك الملوك الماضون، وذوو العز المكين."

ثم نجده يختم تلك الوصية ببيان قدر ومكانة ابنه مسلمة. فيوصى الوليد وأخوته به وذلك لأنه ابن أمه، لكنه عُرف برجاحة رأيه وشجاعته وقوته فى الحروب. فيقول : " يا بنى أخوكم مسلمة – نابكم الذى تفرّون عنه ومجنكم الذى تستحنون به أصدروا عن رأيه."

وكذلك يوصيهم بالحجاج أهم ولاته وركن دولته، فهو الذى وطأ لهم هذا الأمر فيقول: " أكرموا الحجاج فإنه الذى وطأ لكم هذا الأمر."

ثم ينهى وصيته بتوجيه النصح لأبنائه جميعاً فيقول " كونوا أولاداً أبراراً وفى الحروب أحراراً وللمعروف مناراً."

وهكذا نجد أن تلك الوصية قد جاءت فى قطعة أدبية نثرية، وإنها لم تكن وصية واحدة، وإنما كانت وصايا متعددة، جاءت فى ألفاظ قوية معبرة، وعبارات دقيقة موحية. وجمل قصيرة تحمل معانى كبيرة، ودلالات عميقة، تنم عن ذوق صاحبها الرفيع، وحسه البليغ، وبيانه الرائع.

٢ – ومن وصايا الخليفة عبد الملك بن مروان وصيته لأمير سيره إلى أرض

الـــروم والتى يقول فيها:"أنت تاجر الله لعباده، فكن كالمضارب الكيس الذى إن وجـــد ربحاً اتجر، ,إلا تحفظ برأس المال، ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز الـــسلامة، وكـــن مـــن احتـــيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال عدوك عليك."[1]

وهـــذه الوصـــية تعد من الوصايا الحربية. والتى تكون الغاية منها تعـــريف الموصى له بأساليب القتال والحرب فى حالتى الدفاع والهجوم تبعاً للأصول المتبعة فى الحروب فى ذلك الوقت.

ونجـــد فـــى تلك الوصية أن الخليفة قد لجأ إلى الأسلوب التصويرى الـــذى وضح من خلاله فكرته وأوصلها بسرعة إلى الموصى له، حيث صور الحـــرب بـــتجارة. والمحـــارب هو ذلك التاجر الذكىّ الذى لا يغامر بخوض الحـــرب إلا إذا تأكد من الربح، ولا يطلب الغنيمة إلا بعد أن يحقق السلامة. وأن يكون فى احتياله على عدوه أشد حذراً من احتيال عدوه عليه.

ونلاحـــظ فى تلك الوصية . الإيجاز الشديد. وذلك يتناسب مع تقديم الوصـــية لمـــن يخـــرج للحرب، فالوقت له أهميته فى تحقيق النصر. وكذلك الألفاظ التى استخدمها كالذكاء وعدم الإسراع فى طلب الغنيمة. كل ذلك يدلنا علـــى ذوق الخلـــيفة الأدبى وحسن اختياره للألفاظ التى تتناسب مع الموقف الـــذى يتناوله فى وصيته ، وكذلك إيجازه الشديد فى وصيته والذى يتناسب مع من يسير للحرب.

٣ - وصـــيته لأخـــيه عبد العزيز بن مروان عندما ولاه مصر. حيث يقول : "أبـــسط بـــشرك وألن كنفك، وآثر الرفق فى الأمور فإنه أبلغ بك. وانظر حاجـــبك فليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمـــك مكانـــه لـــتكون أنت الذى تأذن له أو ترده، وإذا خرجت إلى مجلـــسك فابدأ بالسلام، يأنسوا بك، وتثبت فى قلوبهم محبتك، وإذا انتهى إلـــيك مـــشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فإنها تفتح مغاليق الأمور. وإذا

[1] العقد الفريد لابن عبد ربه، جـــ١/١٥٥.

سخطت على أحد فأخر عقوبته، فإنك على العقوبة بعد التوقف عنه أقدر منك على ردها بعد إمضائها." [١]

ويتضح لنا من هذه الوصية إنها من الوصايا السياسية حيث رسم فيها الخليفة لأخيه الذى ولاه مصر سياسته التى يجب أن يسير عليها فى ولايته.

ولا شك أن تلك الوصايا السياسية تعكس لنا ما تحلى به الخليفة عبد الملك بن مروان من دهاء وفطنة، وحنكة سياسية وخبرة فى الحكم وسياسة الرعية وطريقة معاملتها حتى تدين بالولاء والطاعة.

٤ – ومن تلك الوصايا أيضاً وصيته للشعبى عندما اختاره لمنادمته ومجالسته والتى مرت بنا فى الصفحات السابقة من هذا البحث، حيث يقول: " يا شعبى لا تساعدنى على ما قبح.. ولا ترد على الخطأ فى مجلسى ... فإن الصمت فى موضعه ربما كان أبلغ من المنطق فى موضعه وعند إصابته فرصة." [٢]

وهذه الوصية تندرج ضمن الوصايا الأدبية، وهى تلك التى تحمل بين طياتها ما يجب أن يتحلى به من يجالس الملوك من آداب وسلوك . وقد أشار بعض النقاد إلى مثل هذه الآداب. وقد ذكرت ذلك آنفاً عند تناولى لتلك الوصية فى الصفحات السابقة.

٥ – ومن الوصايا المفيدة التى جاءت على لسان الخليفة عبد الملك بن مروان قوله لمؤدب أولاده– وهو إسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر: علمهم الصدق. كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السفلة، فإنهم أسوأ الناس رغبة فى الخير وأقلهم أدباً، وجنبهم الحشم، فإنهم لهم مفسدة، وأحف شعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم يقووا، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، ومرهم أن يستاكوا عرضا،

---

[١] جمهرة خطب العرب للدكتور أحمد زكى، جـ٢/١٩٩.
[٢] مروج الذهب للمسعودى، جـ٢/٧١ : ٧٢.

ويمـــصوا المـــاء مـــصّا ولا يعـــبوا عبّاً، وإذا احتجت أن تتناولهم ، فتـــناولهم بـــأدب، فلـــيكن ذلـــك فى سر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهولوا عليهم." (١)

وواضـــح مـــا تحمله تلك الوصايا من حرص شديد من الخليفة على أولاده وفلذات أكباده فهو يريد أن يضمن لهم تنشئة صالحة قوية تمكنهم من الصمود أمام ما يواجهونه فى تلك الحياة.

وبـــذلك يتـــضح لنا أن وصايا الخليفة عبد الملك قد جاءت متنوعة وشـــاملة، فمنها السياسى والحربى والدينى والاجتماعى وغير ذلك مما يدلنا علـــى مكانـــته وتنوع ثقافته وخبرته ومعرفته بشتى مجالات الحياة. فهو قد خبر الحياة وخبرته ومن ثم خرج منها بتلك الوصايا الأدبية المتنوعة والتى تنم عن ذوق رفيع وحس أدبى مرهف.

وفـــى نهايـــة حديثـــنا عن خطبه ووصايا، نود أن نشير سريعاً إلى حكمته.

جـــ – الحكمـــــــة :

لا شـــك أن الحكمة موهبة من الله سبحانه وتعالى ، قال جل شأنه : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ)(٢).

فالحكمة هبة من الله سبحانه يهبها لمن يشاء من عباده. وهى أيضاً خلاصـــة تجـــارب الإنسان فى الحياة. وخبرته التى يكتسبها مما يمر به من أحداث يكون لها عظيم الأثر فى نفسه ونفس الآخرين.

ومـــن ثـــم كان للخليفة عبد الملك بن مروان حظ وافر من الحكمة تدلنا على ذلك حنكته السياسية ودهاؤه وفطنته. فقد استطاع أن يقضى على كـــل ما واجهه من فتن وثورات. وقد يكون لنشأته الأولى وما عُرف به من

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـــ٥/٨٨.
(٢) سورة البقرة: من الآية٢٦٩.

زهـد وورع وتقـى وتفقـه فـى الـدين وكيفية معاملته لرعيته وخصومه السياسيين أثرها الواضح فى كل ذلك.

ونـستطيع أن نتبـين حكمته من خلال الكثير من أقواله التى جاءت فـى خطبه ووصاياه ، وقد مر بنا الكثير منها فى الصفات السابقة فلا داعى لتكـرارها وإعـادة ذكرها، فقد كانت تلك الخطب والوصايا تحمل بين طياتها حكمة بالغة. ومن ذلك قوله عن أفضل الناس: "من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة".[١] ففى قوله هذا حكم كثيرة وهى التواضع عن رفعة، والزهد عن قدرة، والإنصاف عن قوة.

ومما يدلنا على حكمة الخليفة عبد الملك بن مروان أيضاً :

١ – ما دار بينه وبين العجاج حيث يقول: " يا عجاج ، بلغنى أنك لا تقدر علـى الهجـاء، فقـال: يا أمير المؤمنين من قدر على تشييد الأبنية أمكـنه إضـراب الأخبـية، قال: فما منعك من ذلك؟ قال: إن لنا عزاً يمنعـنا من أن نُظلم وإن لنا حلماً يمنعنا من أن نظلم، فعلام الهجاء؟ فقال: لكلماتك أشعر من شعرك فأنّى لك عزّ يمنعك من أن تظلم؟ قال: الأدب الـبارع، والفهـم الناصع، قال: فما الحلم الذى يمنعك من أن تظلـم؟ قـال: الأدب المـستطرف، والطبع التالد، قال: يا عجاج لقد أصبحت حكيماً، قال وما يمنعنى وأنا نجىّ أمير المؤمنين".[٢]

فهـذا الـذى دار بين العجاج والخليفة عبد الملك بن مروان إن دل علـى حكمـة العجاج فإنه يدل أيضاً على حكمة الخليفة وبصيرته النافذة فى اختيار جلسائه ومحدثيه. وكما يقال المرء على دين خليله.

٢ – مـا دار بين الحجاج وعبد الملك بن مروان بشأن قطرى بن الفجاءة المازنى وقوله : " أوصيك بما أوصه به البكرى زيداً".[٣] ثم محاولة الحجاج معرفة ذلك الذى تحمله تلك الوصية.

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص ٢٦١.
(٢) الأمالى للقالى، جـ١/٤٥ : ٤٦.
(٣) ذيل الأمالى والنوادر للقالى ، ص ٧٢، الطبعة لثالثة ، مطبعة السعادة، ١٣٧٣هـ.

وهـــذا الـــذى أخبر به عبد الملك – الحجاج ولم يصرح به إنما يدل علـــى مـــا يتمتع به عبد الملك من فطنة وذكاء. فالخليفة لحكمته وفطنته لم يصرح بما يريده، وإنما أخفاه حتى لا يعلمه العامة فينكشف أمره ولكنه ترك لـــصاحبه أن يستنتج ذلك بنفسه دون أن يصرح له به، وبذلك يكون تصرف عبد الملك بهذه الصورة يدل على حكمته.

٣ – وممـــا يدلنا على حكمته أيضاً ما جاء فى نهاية وصيته للشعبى عندما حظىّ عنده واصطفاه لمنادمته. يقول: " فإن الصمت فى موضعه ربما كان أبلغ من المنطق فى موضعه، وعند إصابته فرصة." [١]

فقـــد يكون الصمت أبلغ من النطق والتكلم فى بعض الأحيان، وكما قيل الصمت حكمة والنطق عيىّ.

لقـــد عـــشنا مـــع بعض النصوص النثرية التى صدرت عن الخليفة عبدالملك بن مروان من خطب ووصايا بما تحمله من حكمة بالغة تدلنا على ذوق صاحبها الأدبى وبراعته وتفوقه فى هذه الفنون النثرية.

د – قوله للشعر وتمثله به :

ســـوف نـــشير ســـريعاً إلـــى بعض آثاره الشعرية والتى تتمثل فى جانبين:

الأول : يتضح فى تمثله فى خطبه ووصاياه بالشعر الذى صدر عن شـــعراء مـــشهورين. ولـــذلك جـــاء تمـــثله بهذا الشعر فى بعض مواضعه مستـــشهداً فـــى الكثير به على ما يريد واتضح ذلك جلياً من خطبه، كخطبته فـــى الكـــوفة بعد مقتل مصعب بن الزبير، والتى تمثل فيها بشعر لقيس بن رفاعة. وكذلك عندما رفض أهل المدينة قبول عطائه. فذكرهم بقصة الرجلين والحية. وأنشدهم شعراً للنابغة وهكذا فى الكثير من المواضع. [٢]

وكـــذلك تمثل بالكثير من الشعر عندما حضرته الوفاة. وأيضاً وهو

---

[١] مروج الذهب للمسعودى، جـ٢/٧٢.

[٢] راجع الصفحات السابقة من البحث تحت عنوان بعض آثاره الأدبية.

يوصـــى أبناءه ويعطيهم خلاصة تجاربه فى الحياة[١]. ولما أراد الخروج إلى مـــصعب بـــن الزبير لاذت به عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهى أم ابنه يزيد وقالـــت لـــه: يا أمير المؤمنين لا تخرج السنة لحرب مصعب فإن آل الزبير ذكروا خروجك، وابعث إليهم الجيوش. وبكت، وبكت معها جواريها. وجلس وقال: قاتل الله ابن أبى جمعة – كُثيراً – فأين قوله :

إذا ما أراد الغزو لم تثنه همه حصان عليها عقد دُرٍّ يزينهـــا
نهته فلما لم تر النهـــى عاقة بكت فبكى مما شجاها قطينهـــا

والله لكأنه يرانى ويراك يا عاتكة ، ثم خرج فكان فى خروجه قتل مصعب[٢].

ولما قتل عبد لملك بن مروان عمرو بن سعيد الأشدق، صعد المنبر وذكر عمراً فوقع فيه وذكر خلافه وشقاقه ونزل من المنبر وهو يقول :

أدنيته منى لتسكن نفرة فأصول صولة حازم مستمكـــن
عقبا ومحماة لدينى إنه ليس المسىء سبيله كالمحسن[٣]

فـــتلك الأمـــثلة تعطيـــنا صورة واضحة عن سعة إحاطة عبد الملك بالشعر وجمال تمثله به فى المواقف المختلفة التى تعرض لها فى حياته.

الثانـــى : قرضه للشعر ، كتلك الأبيات التى ذيل بها كتابه للحجاج ابن يوسف الثقفى عندما أسرف فى قتل أسارى دير الجماجم. حيث كتب فى أسفل كتابه :

---

[١] البداية والـــنهاية لابن كثير جـــ٥/٩٠: ٩٢. وتاريخ الخلفاء للسيوطى، ص ٢٦٢ : ٢٦٣. ومشاهير الإسلام للذهبى ، جـــ٣/٥٢ : ٥٣.
[٢] الأغانى لأبى فرج الأصبهانى، جـــ٨/٦٩.
[٣] مروج الذهب للمسعودى، جـــ٢/٧٩.

إذا أنـــت لـــم تترك أموراً كرهتها ... وتطلـــب رضـــائى بالذى أنا طالبه
وتخـــشى الذى يخشاه مثلك هارباً ... إلـــى الله مـــنه ضيع الدهر حالبه
فـــإن تـــر منـــى غفلـــة قرشـــية ... فـــيا ربمـــا قد غص بالماء شاربه
وإن تـــر منـــى وثـــية أمـــوية ... فهـــذا وهـــذا كـــل ذا أنـــا صاحبه
فـــلا لا تلمنـــى والحـــوادث جمة ... فإنـــك مجـــزى بمـــا أنـــت كاسبه
ولا تعـــد مـــا يأتيك منى وإن نعد ... يقـــوم بهـــا يـــوماً علـــيك نوادبه
ولا تنقـــصن للـــناس حقـــاً علمته ... ولا تعطـــين مـــا ليس لله جانبه.[1]

وقـــد علـــق صاحب مروج الذهب على هذه الأبيات بقوله : " وهى أبيات من جيد ما اخترناه من قول عبد الملك."[2]

ولا شك أن هذه الأبيات جيدة السبك قوية الدلالة. واضحة المعنى ، قالهـــا عبد الملك ليؤيد بها ما جاء فى كتابه للحجاج وذلك لأنه يعلم جيداً ما للشعر من أثر عظيم فى النفوس.

ومـــن آثـــار عبد الملك الشعرية أيضاً ما روى عنه فى صفة أبنائه، فقـــد كان عبد الملك يكن لأبنائه شعوراً مليئاً بالحب والمودة. مبيناً صفة كل واحد منهم ومبلغ حبه لهم. يقول عبد الملك فى بنيه :

يـــزيد زيـــادة الـــرحمن فيـــنا ... وصـــاحب عـــروة الأمـــر الشديد
ومـــروان الـــصفى صـــفى نفسى ... شـــبيه النفـــسى منـــى والخـــدود
وعـــبد الله صـــاحب كـــل حـــرب ... وغـــزو تحـــت أبـــدان الحديـــد
فقـــد علقـــت حـــبهم جمـــيعاً ... علـــى أن الخلافـــة للولـــيد
ســـليمان الـــشعار شـــعار قلبـــى ... أحـــب إلـــىّ مـــن ذوب الـــشهود
ورأيـــى فـــى هـــشام أن فـــيه ... حـــياة للجـــنود وللوقـــود.[3]

---

[1] مروج الذهب للمسعودى، جـ٢/١٠٣.
[2] المصدر نفسه، جـ٢/١٠٣.
[3] أنـــساب الأشـــراف للبلاذرى جـ١١/١٧٢. وينظر أيضاً الخلافة الأموية للدكتور عبد الأمير دكن، ص ٤١.

ففـــى هذه الأبيات حاول الخليفة عبد الملك بن مروان أن يعطى لكل ابن من أبنائه صفته المحببة إليه، فهو أدرى بأبنائه وبما يتصفون به، معلناً أن الخلافة بعده تكون لابنه الوليد.

وعـــن جـــبلة بـــن عـــبد الملك قال: سابق عبد الملك بين سليمان ومسلمة ، فسبق سليمان مسلمة، فقال عبد الملك أبياتاً من الشعر:

ألـــم أنهكـــم أن تحملـــوا هجناءكم ... علـــى خـــيلكم يوم الرهان فتدرك
ومـــا يستوى المرآن هذا ابن حرة ... وهـــذا ابـــن أخرى ظهرها متشرك
وتـــضعف عضداه ويقصر سوطه ... وتقـــصر رجـــلاه فـــلا يتحـــرك
وأدركـــــته خالاتـــــه فنـــــزعنه ... إلا أن عـــرق المـــرء لابـــد يدرك

فأجابه مسلمة قائلاً : يا أمير المؤمنين ما هكذا قال حاتم الطائى.

قال عبد الملك : وماذا قال حاتم. فقال مسلمة : قال حاتم:

ومـــا أنكحـــونا طائعـــين بـــناتهم ... ولكـــن خطبـــناها بأســـيافنا قسرا
فمـــا زادهـــا فيـــنا الـــسباء مذلة ... ولا كلفـــت خبـــزاً أو لاطبخت قدرا
ولكـــن خلطـــناها بخيـــر نـــسائنا ... فجـــاءت بهم بيضاً وجوههم زهرا
وكـــائن تـــرى فينا من ابن سبية ... إذا لقـــى الأبطـــال يطعـــنهم شذرا
ويأخـــذ رايـــات الطعـــان بكفـــه ... فـــيوردها بيـــضاً ويصدرها حمرا
أغـــر إذا غبَّـــر اللـــثام رأيـــته ... إذا سرى ليل الدجى قمراً بدرا.[1]

فـــتلك مناظـــرة شعرية بين عبد الملك وابنه مسلمة. تدلنا بوضوح على مقدرة عبد الملك الشعرية، ومدى تذوقه للشعر وفهمه لمعانيه.

وعندما ذكر الشعر عند عبد الملك بن مروان قال: " إذا أردتم الشعر الجـــيد فعلـــيكم بالـــزُّرق مـــن بنـــى قيس بن ثعلبة، وهم رهط أعشى بكر، وبأصـــحاب النخـــيل مـــن يثرب يريد الأوس والخرزج وأصحاب الشغف من هذيل".[2]

---

[1] العقد الفريد لابن عبد ربه ، جـ٦/١٣٠: ١٣١.
[2] العقد الفريد لابن عبد ربه ، جـ٥/٣٧٣.

وهـــذا النص يدلنا على معرفة الخليفة عبد الملك للشعر الجيد ومن يقـــوله مـــن الـــشعراء ومواطنهم ، فقد كان عبد الملك عالماً بفنون الشعر، فاهمـــاً ومتذوقاً لما يقوله الشعراء، فقد قيل له من أشجع العرب فى شعره. (١)

فقال : عياش بن مرداس حيث يقول :

أشد على الكتيبة لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها

وقيس بن الخطيم، حيث يقول :

وإنى فى الحرب العوان موكل بإقدام نفسى لا أريد بقاءها

والمزينى حيث يقول :

دعوت بنى قحافة فاستجابوا فقلت : ردوا فقد طال الورود(٢)

هذه هى بعض آثار الخليفة عبد الملك بن مروان الشعرية أردت من خلالهـــا أن أدلل على قوله للشعر وتذوقه له وتمثله به، وبذلك يتضح لنا من الأخـــبار المـــروية عن الخليفة عبد الملك بن مروان أنه كان كثيراً ما يطرح أســـئلة علـــى جلسائه أو يطلب منهم أن ينشدوه فى موضوع معين. وكأنه بذلك يريد أن يختبرهم أو يقيس مدى علمهم بالشعر إلى علمه، ومدى ذوقهم الأدبى إلى ذوقه.

٤ – موقف الخليفة من الشعر والشعراء :

كـــان الخليفة عبد الملك بن مروان متذوقاً للشعر فاهماً لدلالة النص مقدراً للشعراء مكانتهم وأثرهم فى المجتمع. ولذلك كان للشعر أهمية عظيمة واثـــر كبير فى نفسه. ويتضح لنا ذلك من خلال مواقفه مع الشعراء وتأثره بشعرهم.

---

(١) ذكـــر صـــاحب شرح شواهد المغنى أن السبب أنهم لم يجزعوا عند الموت ينظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ، ص ٥٤٧. لجنة التراث، بيروت.

(٢) محاضرات الأدباء، جـــ٢/١٣٧.

١ – فقد روى ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء: " أنه وفد على عبدالملك بن مروان وفد أهل الكوفة، فلما دخلوا عليه وكلمهم رأى فيهم رجلاً آدم طويلاً، فكلمه فأعجبه بيانه ، فلما تولى تمثل عبد الملك بقول عمرو بن شأس:

وإن عراراً إن يكن غير واضح فإنى أحب الجون ذا المنكب العمم.

فالتفت الآدم إلى عبد الملك، فضحك. فقال عبد الملك: علىَّ به. فلما جئ به قال له ما أضحكك؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين عِرار. فأقعده معه وقدمه وسامره حتى خرج.

ومن هذا الموقف يتضح لنا أهمية الشعر عند الخليفة ومكانة الشعراء وحظوتهم عنده وخاصة من يصبح شعرهم مضرباً للأمثال. ويسير على كل لسان، ولذا كان احترام الخليفة للشاعر عِرار وتقديره له. والجلوس معه للسمر والحديث.

٢ – قال عبد الملك بن مروان لأمية بن عبد الله: مالك ولعمرو بن حرثان حيث يقول فيك:

إذا هتف العصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند النَّرائد

فقال : يا أمير المؤمنين وجب عليه حد فأقمته،فقال: هلا درأت الحد عنه بالشبهات ؟ فقال: كان الحد أبين. وكان رغمه علىَّ أهون. فقال عبد الملك: يابنى أمية، أحسابكم لا تعرّضوها للهجاء وإياكم وما سار به الشعر. فإنه باق ما بقى الدهر، والله ما يسرنى أنى هجيت بهذا البيت وأن لى ما طلعت عليه الشمس.

يبيتون فى المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا

وما يبالى من مُدح بهذين البيتيين ألا يمدح بغيرهما:–

هـــنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا
علـــى مكثريهم رزق من يعتريهمُ وعـــند المقلـــين الـــسماحةُ والبذلُ[1]

فالخلـــيفة هـــنا حـــريص كـــل الحرص على بنى أمية ألا يعرضوا أحـــسابهم لهجـــاء الـــشعراء. كما أنه يرغب فى المديح ويحرص عليه أشد الحرص. وذلك لأنه يعرف للشعر أهميته وقدره ولما يتحدث به الشعراء من أثـــر عميق سواء كان مديحاً أم هجاءً. فالشئ الذى يسير به الشعر باق أبد الدهر.

ومـــثل هـــذا الموقـــف لا يصدر إلا عن من يمتلك حاسة أدبية قوية يستطيع من خلالها فهم ما للنص الشعرى من دلالات وقيم.

٣ - وممـــا يدلنا على ذلك أيضاً ما رُوى : " أنه لما ولىّ عبد الملك الخلافة عـــام الجماعة. وفد عليه " الحارث بن خالد" فى دين كان عليه . وذلك فـــى سنة خمس وسبعين، وقال مصعب فى خبره.بل حج عبد الملك فى تلـــك الـــسنة فلمـــا انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق، فظهرت له جفوة، وأقام ببابه شهراً. لا يصل إليه فانصرف عنه وقال فيه :

صـــحبتك إذ عينـــى عليها غشاوة فلمـــا انجلـــت قطعّت نفسى ألومها
وما بى وإن أقصيتنى من ضراعة ولا افتقـــرت نفسى إلى من يضيمها

وبلـــغ عـــبد الملـــك خبره وإنشاده الشعر، فأرسل إليه من رده من طريقه. فلما دخل عليه قال له : حار أخبرنى عنك! هل رأيت فى المقام ببابى غـــضاضة، أو فـــى قصدى دناءة؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: فما حملك على ما قلت، وفعلت؟

قال : جفوة ظهرت لىّ، كنت حقيقاً بغير هذا. قال: فاختر، فإن شئت أعطيتك مائـــة ألـــف درهـــم أو قضيت دينك أووليتك مكة. فولاه إياها، فحج بالناس

---

[1] الأمالـــى للقالـــى حـــ٢/١٥٤. وقوله : هنا لك أن يستخبلوا المال ....." من قولهم : اســـتخبل الرجل إبلاً وغنماً، فأخبله: استعار منه ناقة بألبانها وأوبارها. أو فرسا يغزو عليه فأعاره. وهو مثل الأكفاء إلا إن الأكفاء أن يعطيه الناقة لينتفع بلبنها ووبرها وما تلده فى عامها.والإخبال مثله فى اللبن والوبر دون الولد.

وحجت عائشة بنت طلحة عامئذ، وكان يهواها."[١]

ففـى هـذا الموقف الذى دار الحوار فيه بين الخليفة عبد الملك بن مـروان والشاعر الحارث بن خالد. ما يدل دلالة واضحة على تذوق الخليفة للـشعر وفهـم معانيه وما له من أثر فى نفسه وتقدير لقائله ومن ثم كانت مكافـأة الخليفة للشاعر. لمجرد قوله للشعر ليس إلا.، رغم أن هذا الشعر لا يحمل بين طياته مدحاً للخليفة أو إشادة به، بل فيه إشارة ولو ضمنية تظهر تضجر الشاعر من إهمال الخليفة له وعدم العناية به. ومع ذلك لم يفت على الخليفة أن يسترضيه ويكرمه وأرسل إليه من رده عن طريقه.

٤ – ذكـر صـاحب الأغانى: " أن عبد الملك بن مروان كان يتمثل بأبيات شـبيب بن البرصاء. فى بذل النفس عند اللقاء. ويعجب به، من مثل قوله:

دعانـى حـصن للفـرار فساءنى ... مـواطن أن يُثنـى علـىَّ فاشـتما
فقلـت لحـصن: بـخ نفسك إنما ... يـذود الفتـى عن حوضه أن يهدما
تأخـرت اسـتبقى الحياة فلم أجد ... لنفـسى حـياة مـثل أن أتقـدما
سـيكفيك أطـراف الأسـنة فارس ... إذا ريـع نـادى بالجـواد وبالجمـى
إذا المرء لم يغش المكاره أوشكت ... حـبال الهوينـى بالفتى أن تجذما[٢]

ولا يفوتـنا أن نذكـر أن فهم عبد الملك وتذوقه وإدراكه لما تحمله الأبيات السابقة من معانى وقيم عربية أصيلة، هو الذى حمله على أن يتمثل بها فى بعض مواقفه.

٥ – ذكـر أن الـشاعر نصيباً دخل على عبدالملك بن مروان. فعاتبه الخليفة ولامـه علـى قلة زيارته له وإتيانه إياه. فقال:يا أميرالمؤمنين،أنا عبد أسـود، ولـست من معاشرى الملوك، فدعاه إلى النبيذ، فقال : يا أمير المؤمنـين أنا أسود البشرة ، قبيح النظرة. وإنما وصلت إلى مجلس

---

[١] الأغانى لأبى الفرج الأسبهانى جـ٧/١٦٣١.
[٢] الأغانـى لأبـى فـرج الأصـبهانى جـ١٢/٢٨١. طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بيروت، لبنان.

أميـــر المؤمنـــين بعقلـــى، فإن رأى أمير المؤمنين ألا يدخل عليه ما يُزيله فعل! فعافاه ووصله. فقال نصيب:

سـودت فلم أملك سوادى وتحته قمـيص مـن القهوى بيض نيائقه
ولا خيـر فـى ود امرئ متكاره علـيك وعلـى فى حب لا توافقه
فإن شئت فأرفضه فلا خير عنده وإن شئت فجعله خليلاً تصادقه.(١)

ولا شـك أن فـى معاتبة الخليفة للشاعر نصيب ، ولومه على قلة زيارتـه للخلـيفة مـا يدل على حرص الخليفة على الاستماع للشعر، بغض النظـر عـن قائلـه سواء كان قبيح المنظر أسود اللون أم غير ذلك. فالذى يحـرص علـيه الخليفة هو الشعر لأهميته وأثره الفعال. ولتذوقه له وفهمه لدلالاته.

٦ – دخـل أرطأة ابن سهية على عبد الملك بن مروان فقال له:كيف حالك يا أرطأة– وقد كان أسن – فقال: ضعفت أوصالى. وضاع مالى، وقل منـى ما كنت أحب كثرته، وكثر منى ما كنت أحب قلته، قال : فكيف أنـت فى شعرك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أطرب، ولا أغضب ولا أرغـب، ولا أرهـب، وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع وعلى أنى القائل :

رأيـت المـرء تأكلـه الليالـى فأكـل الأرض سـاقطة الحديـد
ومـا تبغـى المنـية حين تأتى علـى نفـس ابـن أدم من مزيد
وأعلـم أنهـا سـتكر حتـى نوفـىً نـذرها بأبـى الولـيد

فارتـاع عبد الملك، ثم قال: بلى توفى نذرها بك، ويلك ! مالى ولك؟ فقـال: لا ترع يا أمير المؤمنين ، فإنما عنيت نفسى – وكان أرطأة يكنى أبا الوليد. فسكن عبد الملك، ثم استعبر باكياً وقال: أما والله مع ذلك لتلمَّن بىَّ.(٢)

وفـى هذا الموقف الذى كان بين الخليفة وأرطأة بن سهية، ما يدل

(١) ذيل الأمالى للقالى، ص ١٢٧.
(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ١/٢٩١، الأغانى لأبى فرج الأصبهانى جـ١٣/٤٥٤٣.

على تذوقه للشعر وفهم معانيه والتأثر به، فالخليفة يسأل أرطاة، كيف أنت فى شعرك؟ وفى هذا السؤال ما يدل على عناية الخليفة بالشعراء وبما يقولون وحرصه الدائم على السؤال عنهم ورعايته لهم وحبه لسماع شعرهم وتذوقه وفهم دلالاته والتأثر به، وبدا ذلك واضحاً فى بكائه تأثراً بما يحمل هذا الشعر من معانى قيمة وعظيمة لها تأثيرها فى النفوس.

٧ – وفد رجل من ضنة[١] – قال فوفد هذا الضنىّ إلى عبد الملك بن مروان فقال :

والله ما ندرى إذا ما فاتنا ... طلب إليك من الذى نتطلّب
فلقد ضربنا فى البلاد فلم نجد ... أحداً سواك إلى المكارم ينسب
فأصبر لعادتنا التى عوّدتنا ... أولاً فأرشدنا إلى من نذهب

فقال عبد الملك : إلىّ إلىّ! وأمر له بألف دينار، ثم أتاه فى العام المقبل فقال:

بَربَّ الذى يأتى من الخير إنه ... إذا فعل المعروف زاد وتمما
وليس كبان حين تمَّ بناؤه ... تتبعه بالنقص حتى تهدَّما

فأعطاه ألفى دينار، ثم أتاه العام الثالث، فقال:

إذا استمطروا كانوا معازير فى الندى
يجودون بالمعروف عوّدا على بدء

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار.[٢]

فالخليفة محب للمديح. يَعرف للشعر أثره الطيب فى النفوس ولذا كان كرمه وجوده يتضاعف كلما أتاه هذا الشاعر طالباً لعطائه.

٨ – يذكر الرواة أن عبد الملك بن مروان حين سمع هذا البيت :

---

[١] ضنة : ضنة بالكسر خمس قبائل من العرب. وهى ضنة بن سعد فى قضاعة، وضنة بن عبيد فى عذرة، وضنة بن الحلان فى أسد خزيمة، وضنة بن العاص بن عمرو فى الأزد، وضنة بن عبدالله بن الحارث فى نمير.

[٢] الأمالى للقالى جـ٢/٢٨٣ : ٢٨٤.

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

قال: ما يضر من مُدح بما مدح به زهير آل أبى حارثة ألا يملك أمور الناس " يعنـــى الخلافـــة " ، ثم قال: " ما ترك منهم زهير غنياً ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه"[١].

وبعـــد هـــذه المواقف الجيدة التى جاءت من الخليفة عبد الملك بن مـــروان تجاه الشعر والشعراء. يتجلى لنا بوضوح ما كان يتمتع به الخليفة من حاسة أدبية، وذوق رفيع مكنه من تذوق النص وفهمه، وذلك يدلنا على تأصل الكثير من السمات الأدبية والنقدية فيه.

ثالثاً – المحور الثانى : مجالس الخليفة الأدبية والنقدية

فقـــد كـــان للخليفة مجالسه الأدبية التى تبدى لنا من خلالها تذوقه للشعر وفهمه والوقوف أمام دور الشعر فى المجتمع العربى فى ذلك الوقت، ونذكر من تلك المجالس:

أولاً – مجالس الخليفة والأخطل شاعر بنى أمية :

عُـــرف الأخطل بأنه شاعر بنى أمية والمتحدث بلسانهم وذلك لقول عبدالملك بن مروان لكل قوم شاعر. وشاعر بنى أمية الأخطل ، ولذلك قدمنا مجالسه الأدبية مع الخليفة على غيره من الشعراء. وتلك هى أهم مجالسه:

١ – لما أنشد الأخطل كلمته لعبد الملك التى يقول فيها :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا[٢].

قال : خذ بيده يا غلام فأخْرجه ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره. ثم قال: إن لكل قوم شاعراً، وشاعر بنى أمية الأخطل[٣].

---

[١] الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى جـ٩/١٤٧. طبعة ساسى.
[٢] الشعر والشعراء لابن قتيبة، جـ١/٢٠٥.
[٣] تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص ٢٦٣.

وبـذلك أصـبح الأخطـل هو شاعر بنى أمية المقدم على غيره من الشعراء على أساس ما تضمنته قصيدته من معانى المديح التى أصبغها على عبد الملك خاصة وبنى أمية عامة.

ولكـن ذلك لم يمنع الخليفة من نقده وتوجيهه والحكم له أو عليه. فقد كان فى كثير من الأوقات يرد أقواله ولا يستحسنها. وقد أنشد يوماً قوله فى الخمر:

فإذا تعاورت الأكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم.

فأعجب به إلا أنه قال: أسمعت مثل هذا يا شعبى ، فقال له أشعر منه أعشى قيس حيث يقول :

مـن اللاتى حُملن على المطايا كريح المسك تستل الزكاما. [1]

فالخلـيفة يعجـب بقـول الأخطل فى الخمر، لكنه سرعان ما يسأل الـشعبى الـذى يقدم عليه ما قاله أعشى قيس. وعندما يتذوق الخليفة قول الـشاعرين يقـر بمـا قاله الشعبى فى تقديمه لقول الأعشى. بدليل سكوت الخلـيفة وعـدم تعقيبه. وهذا يدلنا على أنّ الخليفة كثيراً ما كان ينظر إلى معانـى الـشعراء ويفاضـل بينها مستنداً فى ذلك على ذوقه الأدبى وحسه المرهف.

٢ – دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين . قد امتدحـتك فاسـتمع منى، فقال عبد الملك: إن كنت شبهتنى بالصقر والأسـد فـلا حاجة لىّ فى مدحتك؟ وإن كنت قلت مثل ما قالت أخت بنـى الشريد، يعنى الخنساء، فهات. فقال الأخطل: وما قالت يا أمير المؤمنين ؟ قال: هى التى تقول:

---

[1] الأدب الأمـوى – صور رائعة من البيان العربى للدكتور إبراهيم على أبو الخشب ص ٢٠٩: ٢١٠. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ومـــا بلغـــت كف امرئ متطاول من المجد إلا حيث ما نلت أطول
وما بلغ المهدون فى القول مدحة ولـــو أطنبوا إلا الذى فيك أفضل
وجـــارك محفـــوظ منـــيع بنجوة مـــن الضيم لا يبكى ولا يتذلل.

قـــال الأخطل : والله لقد أحسنت القول، ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون قولها. فقال: هات : فأنشأ يقول

إذا مت مات الجود وانقطع الندى مـــن الـــناس إلا من قليل مصرّد
وردت أكـــف السائلين وأمسكوا من الدين والدنيا بخلف مجدّد. (١)

فالخليفة هنا وقبل أن يستمع من الأخطل يطلب منه أن يكون مديحه على قدر ما قالت الخنساء. حيث أجادت وأحسنت فيما قالت. فوافقه الأخطل على ذلك. وجاء مديحه على قدر ما أجادت الخنساء.

وعـــندما نتأمل الأبيات التى أعجبت الخليفة فى المدح، والتى جاءت علـــى لـــسان الخنساء، نجد أنها قد أجملت كل صفات الممدوح ومناقبه فى كلمـــات قصيرة موجزة. وصلت به إلى أعلى درجات المجد والفخر. ومن ثم أعجب بها الخليفة ويطلب من الأخطل أن يكون مديحه على قدرها.

فالخلـــيفة كره الصور المكررة من التشبيه بالصقر والأسد وغيرها مما اعتاد عليه الشعراء فى المديح.

ولـــذلك فهـــو يـــوجه شاعره الأخطل إلى المديح بالفضائل النفسية والمكارم العظيمة. فيول: " إن كنت قلت مثل ما قالت أخت بنى الشريد يعنى الخنساء. فهات، وقد فهم الأخطل هذا الدرس من الخليفة ووعاه جيداً، وكان نتيجة ذلك تلك الأبيات التى ذكرها.

والخلـــيفة هنا أخذ على الشعراء عدم التجديد فى تشبيهات مديحهم واكتفائهم بالتشبيهات التقليدية التى لا يظهر فيها جهد أدبى ولا براعة فنية.

وبـــذلك كـــان للخليفة " أثره فى النقد العربى بعد ذلك، وعند النقاد

(١) المصون فى الأدب. تحقيق عبد السلام محمد هارون، ص ٦٢: ٦٣.

قديماً وحديثاً. فقد تأثروا برأيه هنا وذلك بتقديم القيم الخلقية والمعنوية على الصفات المادية. التى تبلى بعكس الخلقية التى تبقى وتخلد. وهذا لون جديد وقع عليه الشاعر بعد توجيه من الخليفة".[١]

٣ – جاء فى الموشح أن كثيرّ عزة أنشد عبد الملك بن مروان قوله:

فما رجعوها عنوة عن مودة ولكـــن بحد المشرفيّ استقالها

فقـــال للأخطل: كيف تسمع ! قال: هجاك يا أمير المؤمنين. قال: بل حسدته، فقال الأخطل: ما قلت لك يا أمير المؤمنين أحسن من هذا حيث أقول.

أهلوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالى مُلكِ لا طريف ولا غضب

فجعلته لك حقاً. وجعلك اغتصبته[٢].

فالخلـــيفة أراد أن يعـــرف رأى الأخطل شاعره، فيما قاله كثيرّ عزة ليتذوق ما قال كل منهما. فهو قد استحسن قول الأخطل عندما ذكره الأخطل بذلك ولأسباب أخرى منها : استتباب الأمن فى حكم جميع الخلفاء قبله حيث تتابع عليها الجميع من غير قتال أو اغتصاب من غيرهم.

وكـــذلك يوحى التعبير بالشهر الحرام، بما يتلاءم معه من تحريم القتال فـــيه فكـــأن الأخطل جعل القتال فى سبيلها يحرم كتحريم الله تعالى له فى الشهر الحرام.

وإن هـــذا المـــسلك يُعد أمراً حتمياً ومألوفاً عند الرعية. فليس هو بأمـــر جديـــد علـــيهم، ولا هو جاء عن طريق القتال والغصب من الأحزاب المـــناوئة لهـــم. وفـــى هـــذا ما يؤكد ضعف الأحزاب السياسية من حولهم. وانقطاع آمالهم فيها ما دام فى بنى أمية القوية الآمنة المستقرة.

فـــى حـــين أن الـــصورة عند كثيرّ عزة تدل على القوة والشجاعة

---

(١) راجـــع مناهج البحث البلاغى فى الدراسات العربية للدكتور عبد السلام عبد الحفيظ ، ص ٣٠، دار الفكر العربى.

(٢) الموشـــح للمرزبانى ص ١٨٢. تحقيق وتقديم محمد حسين شمس الدين . دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـــ-١٩٩٥م.

والعنف. لكنها توحى بعدم الاستقرار والأمن فى البلاد. وإن الأحزاب الأخرى يملكون القوة ولا يعدمون المقدرة على المناوئة والحرب من حين لآخر.

٤ - لما قتلت تغلب عُمير بن الحباب السلميّ. أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان، والجحّاف السلميّ.

ألا سائل الجحّاف هل هو ثائر بقتلى أحييت من سُليم وعامر

فخـــرج الجحّـــاف مغضبا حتى أغار على البشر، وهو ماء لبنى تغلب وقتل منهم ثلاثة وعشرون رجلاً. وقال:

أبا مالك هل لمتنى مذ حضضتنى على القتل أم هل لامنى لك لائم

متـــى تدعنى أخرى أجبك بمثلها وأنـــت امرؤ بالحق ليس بعالم

فخرج الأخطل حتى أتى عبد الملك بن مروان وقد قال:

لقد أوقع الجحّاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعوّل

فـــإلا تغيـــرها قـــريش بملكها يكن عن قريش مستماز ومزحل

فقـــال لـــه عـــبد الملـــك: إلـــى أين يا ابن اللخناء؟ قال: إلى النار " يا أمير المؤمنين؟! قال: أما والله لو غيرها قلت لضربت عنقك"[1].

فالأخطـــل لـــم يرع ما يجب مراعاته عند مخاطبة الملوك حيث هدد عبد الملك وهو الخليفة الذى يملك الدنيا بتركه والانصراف عنه وتلك حماقة كبيـــرة كـــان يجب ألا تصدر منه. وذلك هو ما أشار إليه أبو هلال العسكرى بقـــوله: " ووجـــه العـــيب فيه أنه هدد عبد الملك وهو ملك الدنيا بتركه إياه والانـــصراف عنه إلى غيره، وهذه حماقة مجردة، وغفلة لا يطار غرابها ثم قال:

فـــلا هـــدى الله قيـــساً من ضلالتها ولا لعـــا لبنـــى ذكوان إذ عثروا

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم وقيس عيلان من أخلاقها الضجر.

فقـــال لـــه عبد الملك : لو كان الأمر كما زعمت لما قلت: لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة."[2].

---

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ١/٤٩٢.

[2] كـــتاب الـــصناعتين لأبى هلال العسكرى ، ص ١٠٣، حققه الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـــ-١٩٨٤م.

ومن ثم يتضح لنا أنه قد لا يظهر فى تلك البيئة نقد ذوقى يعتمد على التقاليد الرسمية فى مخاطبة الخلفاء.

وقد كان هذا النقد يوجه الشعراء إلى الالتزام بحدود خاصة فى شعرهم الذى يقولونه فى مخاطبة الخلفاء أو فى مجالسهم. ولا شك أن هذه البدايات الذوقية فى النقد بدأت تظهر على يد الخليفة عبد الملك بن مروان فى توجيهاته للشعراء. ولا شك أنها تتفق مع ما أشار إليه ابن رشيق القيروانى حيث يقول:

" فسبيل الشاعر إذا مدح ملكاً – أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكر الممدوح وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتذلة ولا سوقية، ويتجنب مع ذلك التقصير والتجاوز والتطويل ، فإن للملك سآمة وضجراً ربما عاب من أجلها مالا يعاب وحرم من لا يريد حرمانه"[1].

٥- قال الشعبى: دخلت على عبد الملك وعنده رجل لا أعرفه، فالتفت إليه عبد الملك فقال: من أشعر الناس؟ فقال: أنا، فأظلم ما بينى وبينه . فقلت : من هذا يا أمير المؤمنين؟ فتعجب عبد الملك من عجلتى! فقال: هذا الأخطل، فقلت أشعر منه الذى يقول:

هذا غلام حسن وجهه	مستقبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر والحارث الأ	صغر والأعرج خير الأنام
ثم لهند، وقد ينجـ	ع فى الروضات ماء الغمام
ستة أباءهم ما هم	هم خير من يشرب صفو المدام

فقال الأخطل: صدق يا أمير المؤمنين، النابغة أشعر منى"[2].

هذا مجلس من مجالس الخليفة عبد الملك وشاعره الأخطل. وكان فيه الشعبى. وهو لا يعرف الأخطل حينئذ. ودار الحديث بين الخليفة والأخطل، والشعبى جالس. وعندما سمع الشعبى قول الأخطل " أنا أشعر

---

(١) العمدة لابن رشيق القيروانى ، جـ٢/١٢٨.
(٢) راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة، جـ١/١٦٤.

الـــناس." أظلـــم ما بينهما، وفى هذا ما يدل على أن الشعبى غير راض عما قاله الأخطل. ومن ثم كان سؤاله من هذا الذى يدعى أنه أشعر الناس؟

فالـــشعبى لم يصبر على هذا الزعم. لدرجة أنه لم يراع أصول الكياسة فـــى التعامل مع الخلفاء، حيث أنه لم يصبر حتى يسأله الخليفة عن رأيه فى ذلك الـــذى يـــزعم أنـــه أشعر الناس ويعلن تفوقه على كل الشعراء، ثم نجده يسوق نمـــوذجاً للـــنابغة من شعره فى الفخر بالآباء والأجداد. قاله صاحبه فى القديم، فهـــو يلائم ما تواضع عليه القوم من تمجيد الأصول وكل ذلك يدلنا على أن هذه المعانـــى فـــى الفخـــر مـــا زالت مرعية عند هؤلاء القوم. وفى عصرهم الذى يعيـــشونه. وكـــذلك نجد أن فى صمت الخليفة دليل على أنه يوافقه فى الرأى ولـــذلك لا يجـــد الأخطـــل مفـــراً من الإقرار بما اتفق عليه كل من الخليفة والشعبى.

وقـــد يكـــون ذلك مجرد مجاراة من الأخطل للموقف، وقد يكون عن اقتـــناع أيـــضاً. فحـــال الأخطل لا تبين هذا أم ذاك. أما الخليفة والشعبى فقد عـــرفنا نقدهما. إنه يتكئ على القديم ويحتفى به وليس معنى هذا أن الخليفة يـــلازم دائماً ترجيح القديم والانتصاف له. فهو وإن قبل هذا المعنى فى شعر الـــنابغة أو غيـــره، إلا إنـــنا نجده ينفر منه ولا يقبل بالتشبيهات القديمة فى المدح.

ولذا نجد أن الاتجاه فى تذوق الخليفة يقوم على الإنصاف للشعر القديم والمعاصـــر وذلك لأن العبرة بالجودة وإتقان الفن أو الصنعة لا فى القديم لقدمه ولا فى المعاصر لمعاصرته. وهذا ما يؤكده ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء حـــيث يقـــول: " فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويـــضعه فـــى متخيـــره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل فى زمانـــه أو أنه رأى قائله.. فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا بـــه عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله أو حداثة سنه. كما إن الردىء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه" [1].

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ١/١١: ١٠.

وهكـذا يـتفق الخلـيفة عبد الملك بن مروان فى تذوقه وقبوله لما يقـوله الشعراء وما يستخدمونه من معانى وتشبيهات مع ما ذهب إليه ابن قتيبة، أو بعبارة أدق يقر ابن قتيبة بما ذهب إليه عبد الملك بن مروان.

ثانياً – مجالس الخليفة والشاعر جرير بن عطية:

فـى الحقـيقة أن من يراجع تراثنا الأدبى والنقدى يجد أن للخليفة عـبدالملك ابـن مروان. والشاعر جرير بن عطية مجالس كثيرة، أفاد منها الأدب العربـى ونقده، أيما إفادة. ودلت بوضوح على ما أتسم به الخليفة من تـذوق أدبـى ونقـدى فهـو صاحب ذوق أدبى رفيع، وحس نقدى مرهف، وبصيرة نافذة يسمو بها على غيره من خلفاء بنى أمية.

ومما يدلنا على ذلك ما يرويه صاحب الأغانى حيث يقول :

١ – قال عبد الملك أو ابنه الوليد لجرير:

من أشعر الناس؟ قال: ابن العشرين. قال فما رأيك فى ابنىّ سُلمى؟ قـال: كان شعرهما نيراً يا أمير المؤمنين. قال: فما تقول فى امرئ القيس؟ قـال: أتخذ الخبيث الشعر نعلين، وأقسم بالله لو أدركته لرفعت ذَلاذِله. قال: فما تقول فى ذى الرُّمة؟ قال: قدَر من طريف الشعر وغريبه وحسنه على ما لـم يقـدر علـيه أحد. قال: فما تقول فى الأخطل؟ قال: ما أخرج لسان ابن النـصرانية ما فى صدره من الشعر حتى مات. قال : فما تقول فى الفرزدق؟ قال: فى يده والله يا أمير المؤمنين نبعة من الشعر قد قبض عليها. قال: فما أراك أبقيت لنفسك شيئاً؟ قال: بلى والله يا أمير المؤمنين؟ إنى لمدينة الشعر التـى مـنها يخـرج وإليها يعود، نسبتُ فأطريتُ وهجوت فأرديتُ. ومدحت فـسَنَيْتُ. وأرملـت فأغرزت. ورجزت فأبحرت. فأنا قلت فى ضروب الشعر كلها ، وكل واحد منهم قال نوعاً منها، قال: صدقت." [١]

ونلاحـظ أن هـذا الـنوع من المجالس الأدبية له فائدة عظيمة ، حيث يطـرح الخلـيفة بعض الأسئلة على من يجلس معه. فالخليفة يريد معرفة رأى

[١] الأغانى لأبى فرج الأصبهانى، جـ٨/٢٧٩٩.

جريـــر فـــى عـــدد من الشعراء القدامى والمعاصرين له، وجاء ذلك عن طريق سؤال جرير عن رؤيته لهؤلاء الشعراء ولأشعارهم. وكان جرير يبين لكل واحد مـــنهم مكانـــته ومنـــزلته فى الشعر وبين الشعراء. ثم جعل نفسه فوقهم جميعاً وذلـــك لأنـــه قال فى كل ضروب الشعر المختلفة فى حين قال كل واحد منهم فى ضـــرب معين من الشعر. وقد أقره الخليفة على ذلك بقوله " صدقت " ويدلنا ذلك علـــى تذوق الخليفة الأدبى والنقدى ، فهو على علم بحال هؤلاء الشعراء وعلى معـــرفة جـــيدة بأشعارهم. مما يدلنا على سعة روايته وكثرة حفظه لشعر هؤلاء الـــشعراء القدامـــى مـــنهم والمعاصرين ولذا كان تصديقه لحكم جرير ناتج عن حسن تذوقه وفهمه لأشعارهم جميعاً.

٢ - ذكـــر المرزبانـــى فى الموشح : " قال الأخطل لعبد الملك أيزعم ابن المراغة أنه بلغ مدحتك فى ثلاثة أيام. وقد أفنيت بمدحتك فى قصيدة حولا، فما بلغت كل الذى أردت ؟ فقال عبد الملك: فأنشدنى ، فأنشده:

خف لقطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى فى صرفها غير

فقـــال عـــبد الملك: بل منك إن شاء الله – تطيرا- .. فجعله الأخطل فراحوا اليوم أو بكروا.

ومن ذلك أيضاً ما جرى لجرير عند عبد الملك لما أنشده:

أتصحو أم فؤادك غير صاح؟

فتشاءم عبد الملك وقال: يا ابن الفاعلة. بل فؤادك.[١]

وذكر بعض أهل العلم أنه لما انتهى من القصيدة إلى قوله:

وقد نصرت أمير المؤمنين بنا لما أتاك ببطن الغوطة الخبر

فقال عبد الملك : بل الله أمدنى. [٢]

ونلاحـــظ أن الذى دار بين كل من الشاعرين الأخطل وجرير، وبين الخلـــيفة عـــبد الملـــك بن مروان، لا خلل فيه من الناحية الفنية، ولكن قوة ملاحظـــة الخليفة وتذوقه للمعانى والألفاظ هى التى لفتت انتابهه إلى مطالع تلـــك القـــصائد فأولاهـــا عناية خاصة ونظرة فاحصة. ومن ثم جاءت رؤيته

---

[١] الكـــشكول تحقـــيق الطاهـــر أحمد الزاوى جـــ١/٤٢٧. الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨م.

[٢] الموشح للمرزبانى ، ص ١٧٤: ١٧٥.

النقدية لها. فكان اعتراضه على مطلع قصيدة الأخطل تطيراً. ولذا عدل الأخطل مطلع قصيدة ليتناسب مع ما يراه الخليفة. وأما اعتراضه على مطلع قصيدة جرير فقد جاء تشاؤما مَن قوله " أتصحو أم فؤادك غير صاح؟" ولذا جاء قوله " بل فؤادك".

وكذلك كان اعتراضه على قوله :

وقد نصرت أمير المؤمنين بنا لما أتاك ببطن الغوطة الخبر

رافضاً أن يكون لغير الله فضل عليه، فالنصر الذى حققه على عدوه كان بفضل الله سبحانه.

والخليفة محق فى كل ما وجهه للشاعرين ، وذلك لأن مثل هذا الكلام الذى صدر منهما لا يجدر ولا يليق أن يوجه للخليفة، لأنه خال من الأدب والتوقير الذى يجب أن يلتزم به الشاعر فى مخاطبة الخلفاء.

وكذلك نجد أن ما رآه الخليفة يتفق مع ما نادى به النقاد بعد ذلك من أنه يجب العناية ببداية القصائد وحسن استهلالها. وذلك هو ما عرف عند النقاد بحسن المطلع أو براعة الاستهلال.

٣- يروى المرزبانى : " أن جريراً قال أبيات فى مدح الخليفة عبد الملك ابن مروان. والتى زادت قريحة الشاعر فيها على عقله ومنها البيت الذى يقول فيه:

هذا ابن عمىّ فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلىَّ قطينا

فقيل له: يا أبا حرزة لم تصنع شيئاً، عجزت أن تفخر بقومك حتى تعديت إلى ذكر الخلفاء. وقال له عبد الملك جعلتنى شرطياً لك أما لو قلت لو شاء ساقكم إلىَّ قطينا لسقتهم إليك عن آخرهم."[1].

وملاحظة الخليفة هنا على الشاعر تندرج ضمن ما ذكرته فى

---

[1] الموشح للمرزبانى، ص ١٥٨.

الصفحات السابقة من حيث طريقة مخاطبة الخلفاء وما الذى يجب أن تكون عليه مراعاة التقاليد الرسمية فى مخاطبتهم أو ذكرهم فى شعرهم، ولذلك جاء قول الخليفة" أما لو قلت لو شاء ساقكم إلىَّ قطينا، لسقتهم إليك عن آخرهم". فالمعيب هنا أن الشاعر جعل الإرادة له، لا للخليفة . وهذا لا شك عيب فى مخاطبة الخلفاء، فكأن الخليفة شرطياً عنده وهو قائده الذى يأمره.

٤ - ومما يدلنا على ذوق الخليفة الأدبى وفهمه للشعر وتذوقه لمعانيه وحسن توجيهه للشعراء وحكمه على بعض أبياتهم . قوله : " أمدح بيت قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح! [١]

فالخليفة بتذوقه وحسه المرهف قدم بيت جرير السابق على غيره فى المدح. وذلك بقوله " أمدح بيت" . وإن كان هذا الحكم حكم موجز غير مسبب، ولكنه ناشئ عن تذوق الخليفة للشعر وفهمه لدلالة النص فهو ينظر إلى المعانى ويفاضل بينها، والمتأمل فيه يقرّ بحسن تذوق الخليفة وفهمه لمعانى الشعر وما يجب أن يكون عليه المديح.

٥ - ذكر بعض الرواة أن الحجاج أوفد ابنه محمد بن الحجاج إلى عبدالملك وأوفد إليه جريراً معه ووصّاه به وأمره بمسألة عبد الملك فى الاستماع منه، ومعاونته عليه.

فلما وردوا استأذن له محمد على عبد الملك فلم يأذن له. وكان لا يسمع من شعراء مضر ولا يأذن لهم لأنهم كانوا زبيرية. فلما استأذن له محمد على عبد الملك ولم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله فى أمره ويقول: إنه لم يكن ممن والى ابن الزبير ولا نصره بيده ولا لسانه. وقال له محمد:"يا أمير المؤمنين إن العرب تتحدث أن عبدك وسيفك الحجاج شفع فى شاعر قد لاذ به وجعله وسيلته ثم رددته، فإذن له فدخل، فاستأذن فى الإنشاد، فقال له : وما عساك أن تقول فينا بعد قولك فى الحجاج! ألست

[١] المصون فى الأدب. تحقيق عبد السلام محمد هارون، ص ٢٠: ٢١.

القائل:

من سد مطلع النفاق عليكم أم من يصول كصولة الحجاج

إن الله لـم ينـصرنى بالحجاج وإنما نصر دينه وخليفته ، أو لست القائل:

أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يثق بغيـرة الأزواج

يـا عـض كذا وكذا من أمه! والله لهممت أن أطير بك طيرة بطيئاً سقوطها، أخرج عنى. فأخرج بشر.

فلمـا كـان بعـد ثـلاث شفع إليه محمد لجرير. وقال له: يا أمير المؤمنـين إنـى أديت رسالة عبدك الحجاج وشفاعته فى جرير فلما أذنت له خاطبته بما أطار لُبَه منه وأشمت به عدّوه ولو لم تأذن له لكان خيراً له مما سـمع فـإن رأيـت أن تهب كل ذنب له لعبدك الحجاج ولىّ فافعل. فأذن له فاسـتأذنه فى الإنشاد فقال: لا تنشدنى مديحه فيه فأبى وأقسم ألا ينشده إلا مـن قـوله فـى الحجاج فأنشده. وخرج بغير جائزة. فلما أزف الرحيل قال جرير لمحمد: إن رحلت عن أمير المؤمنين ولم يسمع منى ولم آخذ له جائزة سـقطت آخر الدهر، ولست بارحاً بابه أو يأذن لىّ فى الإنشاد. وأمسك عبد الملـك عن الإذن له. فقال جرير: أرحل أنت وأقيم أنا. فدخل محمد على عبد الملـك فأخبـره بقـول جريـر واستأذن له وسأله أن يسمع منه. وقبل يده ورجلـه. فـأذن لـه، فدخل. فاستأذن فى الإنشاد فأمسك عبد الملك فقال له محمد: أنشد ويحك! فأنشده قصيدته التى يقول فيها:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح [1]

فتبـسم عـبد الملك وقال: كذلك نحن – وما زلنا كذلك – ثم اعتمد على ابن الزبير فقال:

---

[1] وهى القصيدة التى مطلعها:

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشية همّ قـوم بالرواح

ويقال إنه عند سمعها قال: بل فؤادك أنت.

دعـــوت الملحـــدين أبا خبيب جُماحـــاً هل شفيت من الجماح
وقـــد وجدوا الخليفة هِبْر زيّا ألف العيص ليس من النواحى
وما شجرات عيصك فى قريش يعـــشّات الفـــرع ولا ضواحى

قال: ثم أنشده إياه حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال :

تعزت أم حزرة ثم قالت رأيـــت الموردين ذوى لقاح
تعلل وهى ساغية بنيها بأنفـــاس من الشيم القراح

فقال عبد الملك : هل ترويها مائة لقحة؟ فقال: إن لم يروها ذلك فلا أرواها الله! فهل إليها – جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين – من سبيل؟ فأمر لـــه بمائة لقحة وثمانية من الرّعاء. وكانت بين يديه جامات من ذهب، فقال لـــه جريـــر: يـــا أمير المؤمنين أتأمر لىّ بواحدة منهن تكون محلباً؟ فضحك ودس إلـــيه بواحدة منهن بالقضيب. وقال: خذها لانفعتك! فأخذها وقال: بلى والله يـــا أميـــر المؤمنين لينفعنى كل ما منحتنيه. وخرج من عنده. قال وقد ذكر ذلك جرير فى شعره فقال يمدح يزيد بن عبد الملك:

أعطوا هنية يحدوها ثمانية ما فى عطائهم مَنّ ولا سرف[1]

ويتضح لنا مما سبق رعاية الخليفة وعنايته بالمجالس الأدبية التى يعقـــدها ولاتـــه، وتذوقه وفهمه لكل ما يقال فيها من أشعار. لدرجة أنه قال لجريـــر: " إنمـــا أنت للحجاج خاصة". وذلك يدلنا على فهمه وتذوقه للشعر الذى قاله جرير مادحاً به الحجاج.

وكـــذلك نلاحـــظ أنفـــة الخليفة وكبرياءه، وترفعه عن طلب المديح لنفسه. على مثال ما مُدحَ به الحجاج. وفى ذلك دعوة ضمنية للشاعر وحث له على تجويد شعره وتنقيحه وأعمال فكره وعاطفته حتى يخرج الشعر جيداً فيرضى ذوق الخليفة الأدبى ويشبع رغبته. وذلك الذى فهمه جرير. ومن ثم

---

[1] راجع :
ذيـــل الأمالـــى للقالى ص٤٢: ٤٥، المرشد فى فهم أشعار العرب وصناعتهم لعبد الله الطبـــيب ، ص٥٣، الطـــبعة الثانـــية، دارالفكر، ١٩٧٠م. وكذلك الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى جـــ٨/٢٨١٢: ٢٨١٤.

كانـــت مدحـــته التى بغلت الجودة فأعجب بها الخليفة وعبر عن ذلك بتبسمه وقـــوله – كـــذلك نحن– وذلك لما اشتملت عليه من قيم فنية رائعة ، وكذلك يتـــضح لـــنا حرص الشاعر على إسماع الخليفة شعره بعد أن جود فيه حتى يرضى ذوق الخليفة الأدبى الذى يتذوق الشعر ويفهم دلالة النص.

ثالثاً – مجالس الخليفة والشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات:

للـــشاعر عبـــيد الله بـــن قيس الرقيات مجالسه الأدبية مع الخليفة عـــبدالملك ابـــن مـــروان على الرغم من إنه كان شاعر الزبيريين ولسانهم المتحدث باسمهم.

١- ذكـــر ابـــن قتيبة أنه لما قتل مصعب وصار الأمر إلى عبد الملك بن مـــروان أتـــى عبيد الله بن قيس الرقيات، عبد الله بن جعفر يستشفع إليه.

فقـــال له عبد الله بن جعفر: إذا دخلت معى على عبد الملك فكل أكلاً يستبـــشعه عبد الملك بن مروان. ففعل. فقال له: من هذا يا ابن جعفر؟ قال: هذا أكذب به الناس إن قتل! قال: ومن هو؟ قال: الذى يقول:

ما نقموا من بنى أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم معدن الملوك فلا تـــصلح إلا عليهم العرب.

فقـــال عبد الملك قد عفونا عنه، ولا يأخذ مع المسلمين عطاء، فكان عبد الله بن جعفر إذا خرج عطاؤه أعطاه.[1]

وهـــذا الـــذى ذكره ابن قتيبة يدلنا على تقدير الخليفة عبد الملك بن مـــروان للـــشعراء وحرصه على الاستماع إليهم. وحتى وإن كانوا قبل ذلك ممن ساندوا أعدائه.

فهـــو يفهـــم الـــشعر ويتذوقه جيداً ولذا فهو حريص على كسب ود الشعراء واستمالتهم إليه والعفو عنهم.

٢- أنـــشد عبيد الله بن قيس الرقيات عبد الملك بن مروان بعد أن صفح عنه وأمنه:

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة جا١/٥٤٦ : ٤٥٧.

اسمع أمير المؤمنين لمدحتـــى وثـــناها
أنت ابن معتلج البطا ح كُـــدها وكُـــدائها
ولـــبطن عائشة التى فـــضِلت أروم نـــسائها

فلـــم تعجـــب الخلـــيفة عبد الملك كلمة البطن فى الشعر، وإن كان يـــرويها رجال الأنساب وآثر عليها كلمة "النسل". وهذا يدل على ذوق رفيع وأدب جم يتحلى به الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان فى تخيره للألفاظ، وتفضيل بعضها على بعض.

والحـــق فى ذلك أن رأى الخليفة فى دلالة كلمة النسل أعف وأطهر من التعبير بكلمة البطن للمرأة – وهى عورة ينبغى أن يترفع الشاعر عنها، وخاصة إنها من حرمات الخليفة فلا يجب المساس بها أو القرب منها.

وكـــذلك نجـــد فى التعبير بكلمة النسل روعة فى التصوير فهى رافد مـــن روافد التصوير الأدبى وعناصره للدلالة على استمرار الخلافة الأموية فـــى نسله وأولاده وأولياء عهده الوليد وهشام ويزيد وسليمان وغيرهم، ولا شك أن ذلك أكثر مدحاً وإشادة بالدولة الأموية. [١]

٣- أنشد عبيد الله بن قيس الرقيات قوله:.

إن الحوادث بالمدينـــــــــة قد أوجعننى وقرعن مروتيـــــه
وجببتنـــى جَـــبَّ السَّـــــام ولم يتركن ريشا فى مناكبيـــــــه

فقـــال لـــه : أحسنت لولا أنك تخنثت فى قوافيك ! فقال : ما عدوت كتاب الله "مـــا أغنـــى عنى ماليه، هلك عنى سلطانيه"[٢] وقرعن مروتيه من قول أبى ذؤيب.

حتى كأنى للحـــــوادث مروة بصفا الشوق كل يوم تقرع[٣]

---

[١] راجع : تاريخ النقد الأدبى عند العرب. طه أحمد إبراهيم ص ٣٦-مطبعة لجنة التأليف والتـــرجمة والنشر ١٩٣٧م. وكذلك : البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر نندكتور على على صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٨م.

[٢] سورة الحاقة ، الآية ٢٨، ٢٩.

[٣] الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ١/٥٤٧.

ونلاحـــظ أن الخلـــيفة فى تلك الأبيات التى صدرت من عبيد الله بن قـــيس الرقيات قد نظر إلى موسيقى الشعر فعاب عليه بعض قوافيه لما ظهر فيها من رخاوة وليونة ينزلان بقيمة الشعر الصوتية وموسيقاه. ومن ثم قال لـــه: أحسنت إلا أنك تخنثت فى قوافيك.! فقال: ما عَدَوت قول الله "ما أغنى عنى ماليه....."

ويُعـــد الـــناقد أبو هلال العسكرى هذا من قبيل ما عيب فى القوافى وذلك لأن فاصلة الآية حسنة الموقع، وفى قوافى شعره لين." [1]

ولا شـــك أن هذا الذى ذهب إليه أبو هلال العسكرى يتفق مع رؤية الخلـــيفة عـــبد الملك بن مروان فيما عابه على الشاعر. وهذا يدلنا بوضوح علـــى ذوق الخلـــيفة الأدبى الرفيع الذى مكنه من توجيه تلك النقدات القيمة للشاعر.

٤- وعندما مدح عبيدالله بن قيس الرقيات، الخليفة عبدالملك بن مروان بقوله:

يتألق التاج فـــــوق مفرّقه على جبين كأنه الذهـــــب

غضب عبد الملك وقال: قد قلت فى مصعب :

إنمـــا مصعب شهاب من الله تجلّـــت عن وجهه الظلماء

فأعطيته المدح بكشف الغمم، وجلاء الظلم .... وأعطيتنى من المدح مـــالا فخـــر فـــيه ، وهـــو اعـــتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب فى النضارة[2].

فمن الأفضل أن يتجه الشعر إلى الفضائل يخلدها فى الممدوح من العفة والـــشجاعة والكـــرم والـــسماحة والحلم والعزم والمروءة وشرف النفس وعلو الهمـــة، حتى لا يكون قرض الشعر مظنة أنه منبعث عن النفاق أو نابع من غير الشعور الحقيقى[3].

---

[1] المصدر السابق، جـ١/٥٤٧.

[2] الكامـــل فى اللغة والأدب للمبرد جـ١/٣٩٩. مكتبة المعارف، بيروت. وراجع أيضا: كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ١٠٤.

[3] راجـــع: أســـس الـــنقد الأدبى عند العرب للدكتور أحمد أحمد بدوى ص ٢١٨، طبعة نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة، ١٩٧٩م.

وهـذا هو الذى اعتقده الخليفة عبد الملك بن مروان حين لمح فتور عاطفة الشاعر نحوه.

فالـشاعر كـان فى معتقده أن بنى أمية قد اغتصبوا الملك والخلافة، ولكـن الـشاعر امتدحهم بعد أن استقر لهم السلطان، خوفاً منهم وطلباً للأمان عندهم، ولكن حبه وهواه ما زال بعيداً عنهم ، متعلق بغيرهم.

وقـد يكـون الخلـيفة قد أحس بما فى كلمات الشاعر من غمز ولمز، فالملـك والتاج والذهب هو ما يزومه بنو أمية. وقد يكون ذلك أو غيره هو الذى أغضب الخليفة ، وإن كان بعض النقاد يرى أن غضب الخليفة كان لما فـى المـديح مـن "النعومة والرقة وجمال الوجوه، وهى صفات أقرب إلى الصبغة النسوية، وإلى التخنث منها إلى الرجولة المكتملة"[١].

وبذلك يتضح لنا أن الخليفة عبد الملك بن مروان صاحب رؤية فنية تقـايس بـين الـشعراء وتوازن بين معانيهم وصورهم، ويفضل بعضا على بعـض متفقاً فى ذلك مع ما ذهب إليه أبو هلال العسكرى حيث يقول: "ومن عـيوب المـديح عـدول المادح عن الفضائل التى تختص بالنفس من العقل والعفـة والعدل والشجاعة، إلى ما يليق بأوصاف الجسم من الحسن والبهاء والزينة"[٢].

---

[١] راجع: فن المديح لأحمد أبو حاقة ص ٣٤، طبعة الشرقَ الجديد، بيروت.
[٢] كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى، ص ١٠٤.

رابعاً – مجالس الخليفة والشاعر الفرزدق :

الفرزدق من فحول شعراء العصر الأموى، ومن ثم كانت له مجالسه مع الخليفة عبد الملك بن مروان والتى نذكر منها:-

١ – اجـتمع فـى مجلـس عـبد الملك بن مروان جرير والفرزدق، فقال الفـرزدق: الـنوار بنت مجاشع طالق إن لم أقل بيتاً لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه، ولا يجد فى الزيادة عليه مذهباً. فقال عبد الملك: ما هو؟ قال:

فإنـى أنا الموت الذى هو واقع بنفـسك فانظـر كيف أنت مزاوله
وما أحد يا ابن الأتان بوائـــل من الموت إن الموت لا شك نائله.

فأطـرق جريـر قليلاً : ثم قال : أم حزرة طالق منه ثلاثاً إن لم أكن نقضته وزدت عليه! فقال عبد الملك: هات ! فلقد طلق أحدكما لا محالة! فأنشده :

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفيك يابن القين هل أنت نائله
أنا الدهر يُفنى الموت، والدهر خالد فجئنى بمثل الدهر شيئاً يطاوله

فقال عبد الملك : فضلك والله يا أبا فراس، وطلق عليك[1]. فبانت النوار من الفرزدق وندم عليها وقال فى ذلك :

ندمت ندامة الكسعى لما مـضت منـى مطلقـة نوار
وكانت جنة فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار. [2]

فالخليفة قد أدرك ببصيرته الأدبية وفهمه النقدى ، وتفاضله للألفاظ وإدراكه للمعانى أن الدهر يصارع الموت فى كل حين، فالموت يقع عليه بين حـين وآخـر حتـى قيام الساعة، فالدهر أقوى من الموت يأتى لكل إنسان لينتهـى بـه ويبدأ مع غيره وهكذا بينما الدهر ثابت خالد مع الناس الأحياء ومع الموتى كل يوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

[1] دراسـات فـى نقـد الأدب العربى للدكتور بدوى طبانة ، ص ١٠٧، دار الثقافة، بيروت ، لبنان.

[2] طبقات فحول الشعراء لابن سلام، جـ١/٢١٧.

ولذا كان حكم الخليفة " فضلك والله أبا فراس وطلق عليك".

٢ – اجتمع بحضرة عبد الملك بن مروان كل من الأخطل والفرزدق وجرير، فأحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار، ثم قال: ليقل كلٌ واحد منكم بيتاً فى مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس، فبدأ الفرزدق فقال:

أنا القطران والشعراء جربى وفى القطران للجربى شفاء

فقال الأخطل للفرزدق :

فإن تك زقّ زاملة فإنى أنا الطاعون ليس له دواء

فقال جرير لهما:

أنا الموت الذى آتى عليكم فليس لهارب منّى نجاء

فقال عبد الملك : فلعمرى إن الموت يأتى على كل شىء وقضى لجرير.

فالخليفة هنا يستمع إلى ثلاثة من فحول الشعراء فى عصره، ويوازن بين ألفاظهم ومعانيهم ليختار أكثرها دلالة وقدرة على تأدية المعنى. ثم جاء تفضيله لجرير وتقديمه عليهم. وقد كان الخليفة محقاً فى رأيه وذلك لأن الموت يأتى على كل شىء. حقاً!.[١]

٣ – روى الأصمعى عن خالد بن كلثوم أن عبد الملك بن مروان قال للفرزدق: " من أشعر الناس فى الإسلام؟ قال : كفاك بابن النصرانية إذا مدح"[٢]

---

[١] راجع: دراسات فى نقد الأدب العربى للدكتور بدوى طبانة، ص ١٠٧: ١٠٨. وكذلك تاريخ النقد الأدبى للدكتور عبد العزيز عتيق، ص ٢١١: ٢١٢. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

[٢] الأغانى لأبى فرج الأصبهانى ، جـ٧/٣٦٩.

وواضـــح مـــن سؤال عبد الملك هذا أنه يحاول أن يتعرف إلى رأى شاعر كبير كالفرزدق فى هذه القضية التى كانت تشغل أذهان الكثيرين.

ثـــم يجـــيب الفـــرزدق بأن الأخطل هو أشعر الناس فى الإسلام فى المدح.

ولـــتلك الإجابة مغزاها، فالفرزدق يفضل الأخطل على شعراء العصر الإســـلامى، وقد يكون بتلك الإجابة أراد أن يتملق الخليفة لأنه يعلم جيداً أن الخلـــيفة يروقه مدح الأخطل ، ولذا فهو يفضله على غيره من الشعراء فهو الـــذى خلـــع عليه لقب شاعر بنى أمية، وقد يكون محقاً أيضاً. فالأخطل كان يجيد هذا الفن وخاصة مدح الملوك والخلفاء.

خامساً – مجالس الخليفة والشاعر كثيّر عزة :

للشاعر كثيّر عزة مكانته ومنزلته الشعرية عند الخليفة عبد الملك ابن مروان. فالكثير من الأخبار تشير إلى أن عبد الملك كان يعجب بشعر كثيرّ عزة ويفضله. فقد روى النضر بن عمر قال: " كان عبد الملك بن مروان يُخرج شعر كثيّر إلى مؤدب ولده مختوماً يُرَوْيهم إياه ويَردُهَّ".

ورُوى أن كثيراً قال لعبد الملك : " كيف ترى شعرى يا أمير المؤمنين؟ فقال : أراه يسبق السِّحر ويغلب الشعر[1]" .

فالخليفة عبد الملك بن مروان كان يفضل كثير عزة على غيره من الشعراء.

هذا عن الشاعر، أما عن مجالس الخليفة معه فهى كثيرة، ونذكر منها:

١ – إن عبد الملك بن مروان سُمر ليلة وعنده كثيّر عزة. فقال له: أنشدنى بعض ما قلت فى عزة، فأنشده هذا البيت:

هممت وهمت ثم هابت وهابها حياء ومثلى بالحياء حقيق

فقال عبد الملك : أما والله لولا بيت أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك.

قال: ولمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنك شركتها معك فى الهيبة ثم استأثرت بالحياء دونها، قال: فأى بيت عفوت به عنى يا أمير المؤمنين؟ قال: قولك

دعونى لا أريد بها سواها دعونى هائماً فيمن يهيم [2]

والخليفة هنا عاب على الشاعر وصف نفسه بصفات لا يتصف بها عاشق. فقد مدح الشاعر نفسه فى البيت أكثر مما تغزل فى محبوبته وذلك عندما وصف نفسه بالمهابة والحياء. وتلك هى صفات المحبوبة لا صفات المحب أو العاشق. ثم ماذا أبقى لمحبوبته بعد أن استأثر لنفسه بالحياء دونها، وهو

---

[1] الأغانى لأبى فرج الأصبهانى ، جـ٩/٢١٤٣.

[2] العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى جـ٣/١٦٣. طبعة بولاق.

أجمل ما تتزين أو تتصف-به الفتاة، أو يصفها محبوبها به؟

ولا شك أن هذا التذوق الذى جاء من الخليفة لما صدر من الشاعر. تـــذوق أديـــب بـــارع، وفهم خبير بأحوال النفوس قادر على التعمق فى فهم معانـــى الشعر وتذوقها. وهو فى تذوقه هذا يتفق مع آراء الشعراء والأدباء والنقاد من أمثال أبى تمام وأبى هلال العسكرى وقدامة بن جعفر. الذى يرى أن النـــسيب الـــذى يـــتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك فى الـــصبابة وتظاهـــرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وبما كان فيه مـــن التصابى والرقة أكثر مما يكون فيه من الأباء والعزة، وأن يكون جماع الأمر فيه ما ضادّ التحافظ والعزيمة ، ووافق الانحلال والرخاوة." [1]

٢ - عندما سمع عبد الملك بن مروان قول كثير عزة:

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

علـــق علـــيه قائلاً: لو كان فى تقوى وزهد لكان أشعر الناس ، وكذلك علق على قوله:

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت

لو كان هذا فى وصف الدنيا لكان أجود".

ويدلـــنا هذا على ما كان يتمتع به الخليفة من تذوق أدبى مكنه من أن يـــتذوق هذا الشعر الذى صدر عن كثيرّ عزة ، ويرى فيه أنه لو كان فى غيـــر هـــذا الموضع لكان أجود دون أن يذكر سبباً لتلك الجودة ، فهو مجرد فهم للمعانى والألفاظ وبيان لدلالتها.

٣ - جـــاء فـــى الأغانى أن عبد الملك بن مروان قال لكثير عزة: " من أشعر الـــناس الـــيوم يا أبا صخر؟ قال: من يروى أمير المؤمنين شعره. فقال عـــبدالملك: أمـــا أنـــك لمنهم. وقال كثير لعبد الملك كيف ترى شعرى يا أميـــر المؤمنين؟ قال: أراه يسبق السّحر ويغلب الشعر. وكان عبدالملك بـــن مـــروان يخـــرج شـــعر كثير إلى مؤدب ولده مختوماً يرويهم إياه

[1] راجع: قدامة بن جعفر والنقد الأدبى للدكتور بدوى طبانة ص ٣٥٤، الطبعة الثانية.

ويردّه." [١]

فالخليفة يرى أن كثير عزة أشعر الناس. ويصف شعره بأنه يسبق السحر ويغلب الشعر. ولا شك أن لرأى الخليفة قيمته وأهميته وذلك لما عُرف عنه من تذوقه للشعر ومعرفته للشعراء. وكثيرّ عزة جدير بتلك المكانة لما يتمتع به من شاعرية فذة.

٤ – دخل كثيرّ عزة على عبد الملك فأنشده، وعنده رجل لا يعرفه . فقال عبد الملك للرجل: كيف ترى هذا الشعر؟ قال: هذا شعر حجازى، دعنى أضْغمْه ضغمه. قال كثيرٌ: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال : هذا الأخطل. قال فالتفت إليه كثيرٌ فقال له : هل ضغمت الذى يقول:

والتغلبى إذا تنحنح للقِرىّ حك استه وتمثّل الأمثالا
تلقاهم حُلماء عن أعدائهم وعلى الصديق تراهم جُهَّالا؟ [٢]

فالشاعر الأخطل يريد أن يقلل من شأن شعر كثير عزة بحضرة الخليفة، ويتضح ذلك من قوله " دعنى أضغمه ضغمه" ولكن الشاعر كثيرّ بعد أن تعرف عليه فعرف أنه الأخطل يعيره بما ناله منه جرير. ولذلك جاء قوله " هل ضغمت الذى يقول فيك كذا وكذا".

ويتضح لنا من ذلك أن الخليفة كان يتعامل مع الشعراء وكأنه واحد منهم، فلا يقيد رأى أحد منهم ، ومن ثم يسود المجلس جو أدبى مفعم بالحرية. فالخليفة يستمع للجميع دون أن يعترض على ما يتراشقون به من ألفاظ قاسية. وتلك هى الحرية الأدبية التى كانت تسود فى ذلك الوقت.

٥ – انشد كثير عزة – عبد الملك بن مروان مدحته التى يقول فيها :

على ابن أبى العاص دلاص حصينة .. أجاد المسدى سردها وأذالها

فقال له عبد الملك: أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معد يكرب؟

---

[١] الأغانى لأبى فرج الأسبهانى جـ٩/٢١٤٣.

[٢] العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى جـ٥/٢٩٧.

وإذا تجـــىء كتيبة ملمومة شهباء يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جُنة بالسيف تضرب معلماً أبطالها

فقـــال يا أمير المؤمنين: وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغرير، ووصفتك بالحزم والعزم فأرضاه".(١)

ويعلـــق قدامة بن جعفر على ذلك بقوله: " والذى عندى فى ذلك أن عـــبدالملك نظر من كثير إلا أن يكون كثير غلط واعتذر بما يعتقد خلافه لأنه تقـــدم مـــن قولنا، فى أن المبالغة أحسن من الاقتصار على الأمر الوسط بما فـــيه كفايـــة. والأعـــشى بالغ فى وصف الشجاعة حيث جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب. ففـــى وصف الأعشى دليل قوى على شدة شجاعة صاحبه لأن الصواب له لا لغيره إلا لبس الجُنة. وقول كثير تقصير فى الوصف."(٢)

ونلاحـــظ هـــنا أن الخليفة قد استقبح مدح كثيرّ عزة فى أول الأمر، ولكـــنه عـــندما شرح له قوله ومعنى قول الأعشى. رأى أن ما قاله كثيرّ فى مدحه حسن فرضىّ به وذلك عن علم لا عن جهل.

ويتـــضح لـــنا أيـــضاً أن كثيراً وصف الخليفة بأنه يحتاط لنفسه فى الحـــرب بدلـــيل أنـــه يلـــبس دروعاً حصينة محكمة الصنع يثقل حملها على الـــضعيف. والاحتـــياط مـــن صفات ذوى العزم والعقل وبُعد النظر.، ولكن عبد الملك – ولابد أنه لحزمه وعزمه كان فى المعركة محتاطاً لنفسه – لا يرضى بهـــذا الوصـــف الـــذى وصفه به كثير. والذى يطابق واقعه وإنما يريد من شـــاعره أن يـــبالغ فى وصف شجاعته. فيصوره محارباً بارعاً يتقدم جنوده ويـــتحدى أعـــداءه غير حذر ولا محتاط إذ لا يرتدى درع الوقاية ولا يتخفى عـــن القوم؛ بل يعلمهم بمكانه. ويمضى فى مقاتلة الأبطال من أعدائه. وذلك على عادة ما كان يفعل الفرسان فى الجاهلية.

---

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام، جـ٢/٥٤١: ٥٤٢. وراجع كذلك الموشح للمرزبانى ص ١٧٨: ١٧٩.
(٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ١٠٠.

وواضـــح أن هـــذه الرواية تظهر لنا ما يتمتع به الخليفة من تذوق أدبى ونقدى. فهو أديب بصير، وعالم بما قاله الشعراء فى المعانى المتنوعة قديماً وحديثاً وذو بصر بمسالك الشعراء وطرائقهم فى المديح.

وكذلك يتضح لنا أن الخليفة إنما يسير مع اتجاه الشعراء العرب فى المثالـــية فـــى الوصف أى وصف المثل الأعلى للممدوح لا فى وصفه وصفاً عادياً كما هو عليه فى واقع حاله.

٦ - وهـــناك مجلس نود أن نختم به الحديث عن الخليفة وشاعره، المقدّم عـــنده علـــى غيـــره مـــن الشعراء وهو ذلك المجلس الذى كان بين الخليفة عبد الملك بن مروان وعزة ضاحبة كثير.

فيـــروى أنه دخلت عزة على عبد الملك بن مروان وقد عُجزت فقال عـــبد الملـــك لها: يا عزة أنت عزة كثيرّ؟ فقالت : أنا أم بكر الضمَّرية. وفى رواية صاحب الأغانى أنا عزة بنت جُميل، قال: أنت التى يقول لك كثير:

لعزة نار ما تبوخ كأنها إذا ما رمقناها من البعد كوكب

فما الذى أعجبه منك؟

قالـــت : كـــلا يا أمير المؤمنين! فوالله لقد كنت فى عهده أحسن من النار فى الليلة القرّة.

وفى حديث ابن صالح الأسلمى.

قالـــت لـــه : أعجبه منى ما أعجب المسلمين حين صيروك خليفة، قـــال: وكانت له سن سوداء يخفيها. فضحك حتى بدت، فقالت له: هذا الذى أردت أن أبديه، فقال لها: هل تروين قول كثيرّ فيك :

وقد زعمت أنى تغيرت بعدما ومن ذا الذى يا عزُ لا يتغير؟!
تغير جسمى والخليقة كالتى عهدت ولم يُخبر بسرك مخبر.

قالت لا ولكنى أروى قوله:

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت ... من الصم لو تمشى بها الصُمْ زَلّت
صـــفوحا فمـــا تلقـــاك إلا بخيلة ... فمن مل منها ذلك الوصل ملت.[1]

ويتـــضح لنا من ذلك أن الخليفة عبد الملك بن مروان لم يقتصر فى مجالسه الأدبية على الرجال فقط. وإنما كان للنساء نصيب أيضاً وخاصة تلك التى كانت لها مكانتها الأدبية فى ذلك الوقت كعزة صاحبة كثيّر.

فتذوق الخليفة الأدبى جعله يحيط بكل ما يصدر من شعر فى عصره أو فـــى العـــصور التى سبقته. حتى ذلك الشعر الذى كان يقال بين المحبين بعضهم البعض.

[1] الأمالى للقالى، جـــ٢/١٠٤. وراجع كذلك الأغانى لأبى فرج الأصبهانى جـــ٩/٣١٤٧.

سادساً – مجالس الخليفة مع غير هؤلاء الشعراء:

وبعد أن تناولنا مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان مع هؤلاء الشعراء الذين هم فحول شعراء ذلك العصر. نود أن نقف وقفة سريعة مع غيرهم من الشعراء الذين كانت لهم مجالسهم الأدبية ولقاءاتهم الشعرية مع الخليفة. التى نستطيع أن نكشف من خلالها عن جانب آخر من التذوق الأدبى والنقدى الذى كان يتمتع به الخليفة عبد الملك بن مروان الأموى.

١ – دخل الجحّاف بن حكيم الشاعر على عبد الملك وقد أعطاه الأمان بعد غزوته لبنى الفدوكس رهط الأخطل وقتل من قتل منهم فى وقعة البشر فقال له: أنشدنى بعض ما قلت فى غزوتك هذه وفجرتك فأنشده قوله:

صبرتْ سليم للطعان وعامرُ وإذا جزعنا لم نجدْ من يصبرُ

فقال له عبد الملك : كذبت! وما أكثر من يصبر! ثم أنشده:

نحن الذين إذا علوا لم يفخروا يوم اللقاء وإن علوا لم يضجروا

فقال عبد الملك:صدقت. حدثنى أبى عن أبى سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يوم فتح مكة[١].

فالخليفة يعرف تاريخ القبائل وما تتصف به ، ولذا فهو يوفى الجحّاف حقه فيما كذب فيه من شعر، وفيما صدق فيه.

٢ – دخل أرطأة بن سهية الشاعر على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً مما كان يناقض به شبيب بن البرصاء فأنشده:

أبى كان خيراً من أبيك ولم تزل جنيباً لآبائى وأنت جنيب

فقال عبد الملك: كذبت! شبيب خير منك أباً. ثم أنشده:

---

[١] الأغانى لأبى فرج الأصبهانى، جـ١١/١١٠.

وما زلت خيراً منك مُذّ عضّ كارهاً برأسك عادىٌ النجاد ركوب

فقـــال لـــه عبد الملك: صدقت! أنت فى نفسك خير من شبيب فعجب مـــن عـــبد الملـــك من حضر من معرفته مقادير الناس على بُعدهم منه فى بـــواديهم. وكـــان الأمر على ما قال:كان شبيب أشرف أباً من أرطأة. وكان أرطأة أشرف فعلاً ونفساً من شبيب.[1]

وهـــذا يدلنا على أن معرفة الخليفة عبد الملك لم تتوقف عند تذوق الـــشعر وفهـــم معانيه فقط. وإنما كان أيضاً على علم ومعرفة بأقدار الناس ومنزلتهم من حيث شرفهم وفعلهم.

٣ - اجـــتمع عمـــر بـــن أبـــى ربيعة وكثيرّ عزة، وجميل بن مَعْمَر بباب عـــبدالملك بن مروان، فأذن لهم فدخلوا، فقال: أنشدونى أرق ما قلتم فى الغوانى:

فأنشده جميل بن معمر:

حلفـــت يميـــنا يـــا بثينة صادقا فـــإن كنت فيها كاذباً فعميتُ
إذا كـــان جلـــد غير جلدك مسنى وباشرانى دون الشعار شريت
ولو أن راق الموت يرقى جنازتى بمـــنطقها فى الناطقين حييت

وأنشد كثير عزة :

بأبـــى وأمـــى أنـــت مـــن مظلـــومة طـــبن العـــد ولهـــا فغيـــر حالها
لـــو أن عزة خاصمت شمس الضحى فـــى الحسن عند موفق لقضى لها
وســـعى إلـــىّ بـــصرم عـــزة نسوة جعـــل الملـــيك خـــد ودهن نعالها

وأنشد ابن أبى ربيعة المخزومى القرشى:

ألا ليت قبرى يوم تقضى منيتى بـــتلك التـــى بين عينيك والفم
ولـــيت طهورى كان ريقك كله ولـــيت حنوطى مشاشك والدم
ألا ليت أم الفضل كانت قرينتى هـــنا أو هنا فى جنة أو جهنم

---

[1] الأغانـــى لأبى فرج الأصبهانى جـ١١/٢٦٧ :٢٦٨. وراجع أيضاً تاريخ النقد الأدبى عند العرب. للدكتور عبد العزيز عتيق.

فقـــال عـــبد الملك لحاجبه: أعط كل واحد منهم ألفين وأعط صاحب جهنم عشرة آلاف." [١]

فالخلـــيفة هـــنا بحضرته ثلاثة من الشعراء، يطلب منهم أن ينشدوه أرق وألطـــف مـــا قالـــوا فى الغوانى. وهؤلاء الشعراء مشهورون بغزلهم وتفوقهم وإجادتهم فى هذا الغرض من الشعر. ولذا حاول كل واحد منهم أن يقـــول أرق مـــا عنده. وتلك هى عادة الخليفة مع جلسائه، حيث كان يطلب مـــنهم أن ينشدوه فى غرض أو موضوع معين. وكأنه يريد أن يختبرهم أو أن يقيس مدى علمهم بالشعر إلى علمه، ومدى ذوقهم الأدبى إلى ذوقه. وقد تـــذوق الخليفة ما قالوه، ومن ثم كانت جائزته إليهم بقدر إجادتهم وتفوقهم فى هذا الغرض.

٤ – دخل نصيب على عبد الملك بن مروان، فعاتبه ولامه على قلة زيارته لـــه وإتـــيانه إيـــاه. فقال يا أمير المؤمنين: أنا عبد أسود ولست من معاشـــرى الملوك. فدعاه إلى النبيذ، فقال يا أمير المؤمنين: أنا أسود البشرة، قبيح النظرة، وإنما وصلت إلى مجلس أمير المؤمنين بعقلى. فإن رأى أمير المؤمنين ألا يدخل عليه ما يزيله فعل. فعافاه ووصله.

فقال نصيب :

سودت فلم أملك سوادى وتحته قمـــيص من القهوىّ بيض بنائقه
ولا خيـــر فى ود أمرى متكاره علـــيك ولا فـــى صاحب لا توافقه
فإن شئت فأرفضه فلا خير عنده وإن شئت فاجعله خليلاً تصادقه[٢]

ونلاحـــظ أن فى معاتبة الخليفة للشاعر نصيب ما يدل على حبه للشعر وتذوقـــه لمعانـــيه بـــصرف النظر عن قائله. فالخليفة حرص كل الحرص على مجالسة الشعراء والاستماع إليهم بغض النظر عن مكانة الشاعر الاجتماعية أو لونه وقبح منظره. فالذى يحرص عليه الخليفة هو الشعر. وما يحمل من معانى وأفكار.

---

[١] ذيل الأمالى والنوادر للقالى ، ص ٦٧.
[٢] المصدر السابق، ص ١٢٧.

٥ - قـــال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه. وكان يتجنب غير الأدباء. أى المـــناديل أفـــضل؟ فقـــال قائل منهم: مناديل مصر كأنها غرقىء البيض. وقال آخر مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع. فقال عبد الملك: مـــا صـــنعتما شـــيئا أفضل المناديل ما قال أخو تميم يعنى عبدة بن الطبيب:

لمـــا نـــصبنا ظـــل أخبـــية ... وفـبـار للقوم باللحم المراجيل
وردوا قشر ما يؤتيه طابخه ... ما غير الغلى منه فهو مأكول
ثمت قمنا إلى جُرد مسومة ... أعـــرافهم لأيديـــنا مناديل[1]

وفـــيما ســـبق ذكـــره مـــا يدلنا على خبرة الخليفة ومعرفته بالشعر ولشعراء وتذوقه ولفهمه لما يقولونه.

٦ - وفـــد العجيـــر الـــسلولى على عبد الملك بن مروان فأقام ببابه شهراً لا يـــصل إلـــيه لشغل عرض لعبد الملك ثم وصل إليه، فلما وصل بين يديه أنشده:

ألاتلـــك أم الهبـــرزى تبيـــنت ... عظامـــى ومـــنها ناحل وكسير
وقالت تضاءلت الغداة ومن يكن ... فتـــى قبل عام الماء فهو كبير
فقلـــت لهـــا إن العجيـــر تقلبت ... بـــه أبطـــن أبليـــنه وظهـــور
فمنهن إد لاجى على كل كوكب ... لـــه مـــن عُمانىَّ النجوم نظير
وقرعـــى بكفـــى باب ملك كأنما ... بـــه القوم يرجون الأذين نسور
ويـــم تـــبارى ألسن القوم فيهم ... وللمـــوت إرحـــاء بهـــن تدور
توان الجبال الصم يسمعه وقعها ... لعـــدن قـــد بانـــت بهن فطور
فـــرحت جـــواداً والجواد مثابر ... علـــى جـــريه ذو علة ويسير

فقـــال له : يا عجير ما مدحت إلا نفسك، ولكنا نعطيك لطول مقامك وأمر له بمائة من الإبل يعطاها من صدقات بنى عامر، فكتب له بها[2].

---

[1] ينظـــر الكامـــل للمبرد، ص ٣٢٧. والأغانى لأبى فرج الأصبهانى، جـــ١٣/٤٥٧٩ : ٤٥٨١.

[2] ذيل الأمالى والنوادر للقالى، ص ١٢٧.

فالخليفة نظر فيما قاله الشاعر فوجد فيه مدحاً لنفسه لا للخليفة ، ومع ذلك أعطاه مائة من الإبل، بعد أن عرّفه ما ورد فى شعره، مما يدلنا على تذوقه للشعر وفهمه لدلالاته.

٧ – دخل الأفيشر على عبد الملك بن مروان وعنده قوم فتذاكروا الشعر وذكروا قول نصيب:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا ويح دعد من يهيم بها بعدى

فقال الأفيشر:

والله لقد أساء قائل هذا الشعر، فقال عبد الملك: فكيف كنت تقول لو كنت قائله؟ قال :كنت أقول:

تحبكم نفسى حياتى فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

فقال عبد الملك: والله لأنت أسوأ قولاً منه. حين توكل بها فقال الأفيشر: فكيف كنت تقول يا أمير المؤمنين؟ قال : كنت أقول:

تحبكم نفسى حياتى فإن أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

فقال القوم جميعاً : أنت والله يا أمير المؤمنين أشعر القوم.[١]

ويقول المرزبانى :

" لم تجد الرواة ومن يفهم جواهر الكلام لبيت نصيب هذا مذهباً حسنا، وقد ذكر عبد الملك ذلك لجلسائه فكل عابه".[٢]

ذلك مجلس من المجالس الأدبية التى كان يعقدها الخليفة. وقد دار فيها الحديث حول بيت قاله الشاعر نصيب فى محبوبته. وقد جاء حكم الأفيشر بأن نصيباً أساء فى قوله. فيطلب منه الخليفة أن يقول هو. وجاء حكم الخليفة عليه أنه أسوأ قولاً من نصيب. ثم جاء قول الخليفة نفسه فحكم

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة جا/٤١٩. وكذلك الكامل للمبرد جـ١/١٠٦.
(٢) الموشح للمرزبانى ، ص ٢٢٥.

علـــيه الحاضرون جميعاً بأنه أجود الثلاثة قولاً وأكثرهم بالشعر علما " فهو أشعر القوم".

تلـــك هـــى بعض المجالس الأدبية التى كان يعقدها الخليفة مع الشعراء والأدباء فى عصره والتى يتضح من خلالها ذوق الخليفة الأدبى وحسه النقدى. وقدرتـــه علـــى بـــث روح التنافس بين الشعراء لحثهم على إخراج المعانى فى أجمل صورها.

فقـــد كان كثيراً ما ينصح الشعراء بالبعد عن الأوصاف الحسية حين يمدحون ويطالبهم بالاتجاه إلى الصفات الخلقية التى هى أبقى وأخلد. وبذلك يكـــون هـــذا الخليفة يتذوقه وفهمه لمعانى النص ودلالاته، قد ترك لنا تراثاً ضـــخماً مـــن الأدب والـــنقد، حـــيث خطـــا النقد بعد ذلك خطوات جيدة نحو الموضـــوعية. ومحاولـــة إبراز الأحكام الأدبية فى صورة تقتنع بها العقول. وتقـــبلها الأذواق الـــرفيعة، وذلك بالعمل على ذكر الأسباب التى بنيت عليها تلك الأحكام.

ومـــن ثم نلحظ " فيما نجد من آثار العصر العباسى إفادة علمائه من تلك الكلمات المأثورة ومن النصوص النقدية التى أثرت عن العلماء والأدباء والشعراء الذين عاشوا قبل عصرهم وفى بيئات تخالف بيئاتهم.

وإن تلـــك الأقوال كانت نواة صالحة وأساساً اعتمدوا عليه فى بناء صرح النقد الأدبى عند الأمة العربية".[1]

وخلاصـــة القول : أن التذوق الأدبى والنقدى الذى تحلى به الخليفة عـــبد الملك بن مروان الأموى كان أساساً صحيحاً بنى عليه النقاد التالين له آراءهم النقدية التى جاءت فى الكثير منها مطابقة لما كان يراه الخليفة، كما نجـــد ذلـــك واضحاً عند كل من ابن قتيبة وابن رشيق القيروانى وأبى هلال العسكرى وقدامة بن جعفر وغيرهم من النقاد.

وكذلك كان له سبق تفضيل المعانى الخلقية فى المديح على المعانى الجسدية وغير ذلك مما أشرنا إليه فى طيات هذا البحث.

---

[1] دراسات فى نقد الأدب العربى للدكتور بدوى طبانة ص ١٢٨.

الخاتمـــة

كـــان هذا البحث محاولة للتعرف على الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان والوقوف على ما تمتع به من حاسة تذوقية أدت به لأن يكون واحداً مـــن هـــؤلاء الذين تمكنوا من أن يكون لتذوقهم حينما يسمعون هذه الأحكام النقدية حيث بنيت على ما ألقى على مسامعه من نصوص أدبية فى مجالسه العلمية وكانت بين شعر ونثر..

وهو ما يدعو إلى الإقرار بأنه كان واحداً من أعظم خلفاء بنى أمية حـــيث المكانة الأدبية والتاريخية. فهو قد عاش فى عصر من أزهى عصور العـــربية فـــى آدابهـــا وفنونها القومية ، فقد كان عبد الملك بن مروان على رأس خلفـــاء بنـــى أمـــية فى التذوق الأدبى وفهم النص الشعرى. ودلالاته ومعانـــيه. ولذا جاءت توجيهاته وإرشاداته للكثير من شعراء عصره، فكانت منارات واضحة أنارت الطريق للنقد الأدبى. وكانت هى اللبنة الأولى فى بناء بعـــض الآراء الـــنقدية التى جاءت على ألسنة نقادنا العظام كابن قتيبة وابن رشيق القيروانى والمرزبانى وقدامة بن جعفر وأبى هلال العسكرى وغيرهم.

وذلـــك يدلـــنا بوضوح على ما كان يتمتع به الخليفة عبد الملك من تـــذوق أدبى ونقدى وحس مرهف وشعور رقيق وحاسة أدبية قوية يستطيع من خلالها فهم النصوص الأدبية واكتشاف معانيها ودلالاتها.

ومـــن خـــلال معايـــشتنا لهذا الموضوع نستطيع أن نخرج بالنتائج التالية :

١- كـــشف لنا هذا البحث عن عناية خلفاء بنى أمية ورعايتهم للأدب عامة وللـــشعر خاصـــة، فقد كانوا يتمتعون بحاسة التذوق الأدبى ، فهم عرب خلـــص، عاشوا فى عصر من أزهى عصور العربية وذلك بعد أن نهلوا مـــن القـــرآن الكريم ذلك المعين الذى لا ينضب ، ومن ثم كانت عنايتهم للأدب مصورة فى نظراتهم الأدبية الثاقبة وتأملاتهم الفنية الواعية.

٢- تـــبوأ الخليفة عبد الملك بن مروان مكانة أدبية وذلك لما عرف عنه من نـــسك وعـــبادة وتفقـــه فـــى الدين وكذلك تذوقه للأدب وفهمه لمعانيه

وتوجـــيهه للـــشعراء. قبل توليه الخلافة وبعدها. ومن ثم كانت معرفته وتقديـــره لأهمية الشعر وأثره فى النفوس، وبيان ما كان عليه الشعراء فى عصره وفيما قبل عصره. وكذلك يُعد الخليفة عبد الملك من الخطباء المفوهـــين وذلك لما صدر عنه من خطب وحكم ووصايا عظيمة جعلته ضمن من يفتخر بهم فى الخطابة فى البيت الأموى.

٣- بيان أهمية المجالس الأدبية والنقدية وأثرها الواضح فى النهضة الأدبية فى عـــصر بنـــى أمية. وذلك لما فيها من إشباع للرغبات وصقل للمواهب عن طـــريق تذوق الشعر وفهم دلالاته ومعانيه. حيث ضمت تلك المجالس العديد مـــن فحـــول شـــعراء هذا العصر وأدبائه النابهين وكان لابد لمن جالس كل هـــؤلاء وحـــاورهم وناقـــشهم، وفند أقوالهم ووجههم أن يكون على درجة كبيـــرة من التذوق الأدبى والحس النقدى المرهف. مما جعله يأسس لوضع الكثيـــر مـــن الآراء النقدية حيث جاءت تلك الآراء مبنية على تذوقه الأدبى وحسه النقدى.

٤- من أخبار الخليفة عبد الملك بن مروان ما جاء فى تسميم النقد ودل على ســـلامة ذوقـــه وقوة ملكته النقدية فقد ساعدته موهبته ومكنته مقدرته علـــى ملاحظة بعض عيوب الشعراء ولفت انتباههم إلى ما يحسن ومالا يحسن من القول من المواقف الأدبية المختلفة ومنها على سبيل المثال :

- أخـــذه علـــى بعض الشعراء عدم التجديد فى معانى وتشبيهات شعر المديح والاقتصار على المعانى والتشبيهات التقليدية والوقوف عندها وتلـــك لا يتـــضح فـــيها قصد ولا براعة وليس فيها جهد فنى يذكر لقائلها.

- كثيـــراً مـــا كان يتدخل بتعديل مالا يستحسن معناه وفى هذا ما يدلنا على أنه لم يكن يتذوق الشعر فحسب وإنما كان يقرضه أيضاً.

- كـــان يـــرى أن الصدق عنصر من عناصر الشعر الجيد ومما يحسب لصاحبه فى ميزان النقد الأدبى. ولذا أخذ على بعض الشعراء كذبهم فى الشعر.

- التفت إلى نقد موسيقى الشعر فعاب على الشعراء بعض قوافيهم لما يظهر فيها من لـيونة ورخـاوة ينزلان بقيمة الشعر الصوتية وموسيقاه.

- كـذلك الـتفت إلى سقم الذوق ومجافاة كلام الشعراء لمقتضى الحال وعدم براعة الاستهلال أو حسن المطلع ، ومن ثم عاب عليهم الغفلة ونبو الذوق.

- كثيـراً مـا نجـد عناية الخليفة بالشعر والشعراء. ولذا لم يقف عند ضـروب النـشاط الأدبـى والـنقدى فقط، وإنما كثيراً ما كان يسأل الـشعراء عـن الجديـد فـى شعرهم. وكأنه يريد أن يثير حماسهم لمواصلة قول الشعر والاستزادة منه.

- كثيـراً مـا الـتفت الخلـيفة عبد الملك إلى النظر فى معانى الشعر والمفاضـلة بينها وله فى ذلك الكثير من اللفتات التى تدل على ذوق أدبـى مـرهف، ولـذا نراه قد أسهم فى نقد المعانى الجزئية وفضل بعضها على بعض. وإن كانت قد جاءت بعض أحكامه مؤجزة مجملة إلا أن المـتأمل فـيها لا يسعه إلا أن يقر بحسن تذوقه وقدرته على الموازنة بين المعانى. والتمييز بين ما أوفى منها بالغرض وما قصر دونه.

- وأخيـراً نستطيع أن نقرر، أن الخليفة عبد الملك بن مروان يُعد من الرواد الذين أسسوا للكثير من الآراء النقدية التى ظهرت فى العصر الأمـوى والعصور التالية. حيث جاء تذوقه الأدبى والنقدى متفقاً مع هـذه الآراء التى ظهرت على يد الكثير من النقاد العظام. وكثيراً ما كان تذوقه النقدى أقرب ما يكون إلى الموضوعية التى مهدت لظهور النقد الموضوعى بعد ذلك.

ثبت المصادر والمراجع

١- الأدب الأمـــوى – صور رائعة من البيان العربى للدكتور إبراهيم على أبو الخشب. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢- الأدب المفـــرد للـــبخارى، حققـــه محمـــد هـــشام البرهانى، المطبعة العصرية، أبو ظبى، ١٤٠١هـــ-١٩٨١م.

٣- أسس النقد الأدبى عند العرب للدكتور أحمد أحمد بدوى ، طبعة نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م.

٤- الأغانـــى لأبـــى فـــرج الأصبهانى. طبعة دار الشعب، تحقيق إبراهيم الأبيارى، ١٣٨٩هـــ - ١٩٦٩م.

٥- الأمالـــى لأبـــى على إسماعيل القالى. الطبعة الثالثة – مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧٣هـــ-١٩٥٣م.

٦- البداية والنهاية لابن كثير. الطبعة الأولى، دار الغد العربى ، القاهرة.

٧- البـــناء الفنـــى للـــصورة الأدبية فى الشعر للدكتور على على صبح. المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٨م.

٨- البـــيان والتبيـــين للجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . دار الجيل – بيروت.

٩- تـــاريخ الإســـلام ووفـــيات مشاهير الإعلام للذهبى، دار الغد العربى، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٠- تاريخ الخلفاء للسيوطى. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت.

١١- تاريخ النقد الأدبى عند العرب. للدكتور عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

١٢- تاريخ النقد الأدبى عند العرب للأستاذ/ طه أحمد إبراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م.

١٣- تاريخ النقد العربى للدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر.

١٤- جمهـــرة خطب العرب. للدكتور أحمد زكى صفوت. المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان.

١٥- الخطابـــة العربية فى عصرها الذهبى للدكتور إحسان النص ، الطبعة

الثانية، دار المعارف بمصر.
١٦- الخلافة الأموية للدكتور عبد الأمير عيد حسين دكسن. بيروت، ١٩٧٣م.
١٧- دراسات في نقد الأدب العربي للدكتور بدوي طبانة، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
١٨- ديوان جرير. تحقيق محمد إسماعيل الصاوي- الطبعة التجارية.
١٩- زعماء الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن . مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م
٢٠- شرح شواهد المغنى للسيوطى ، لجنة التراث، بيزوت.
٢١- شرح نهج البلاغة لأبن أبى الحديد. مصر ١٣٢٩هـ.
٢٢- الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٧م.
٢٣- الشعر وطوابعه الشعبية للدكتور شوقى ضيف. الطبعة الثانية – دار المعارف.
٢٤- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى. قرأه وشرحه محمود محمد شاكر. الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٢٥- عبد الملك بن مروان للدكتور محمد ضياء الدين الريس. الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٩م.
٢٦- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر ١٩٤٠م.
٢٧- العمدة لابن رشيق. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة – ١٩٧٢م.
٢٨- فجر لإسلام لأحمد أمين. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٩- قدامة بن جعفر والنقد الأدبى للدكتور بدوى طبانة ، الطبعة الثانية.
٣٠- الكامل فى اللغة والأدب للمبرد. مكتبة المعارف، بيروت.
٣١- كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.

٣٢- الكـــشكول، تحقـــيق الطاهر أحمد الزاوى. الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨م.
٣٣- لـــباب الألـــباب لأســـامة بن منقذ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٠هـــ - ١٩٨٠م.
٣٤- محاضرات الأدباء للراغب الأصبهانى، بيروت.
٣٥- المرشـــد فـــى فهـــم أشعار العرب وصناعتهم لعبد الله الطبيب ، الطبعة الثانية ، دار الفكر، ١٩٧٠م.
٣٦- مـــروج الذهب للمسعودى بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ١٣٨٧هـــ - ١٩٦٧م.
٣٧- المـــصون فـــى الأدب. تحقيق عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجى بالقاهرة - الطبعة الثانية - ١٤٠٢هـــ - ١٩٨٢م.
٣٨- مـــناهج البحث البلاغى فى الدراسات العربية للدكتور عبد السلام عبدالحفيظ ، دار الفكر العربى.
٣٩- الموشح للمرزبانى. تحقيق وتقديم محمد حسين شمس الدين . دار الكـــتب العلمـــية، بيروت، لبـــنان، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـــ- ١٩٩٥م.
٤٠- نقـــد الـــشعر لقدامـــة بن جعفر، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.